رواية

(عبر زجاج الروح)

تأليف

عز **سلطان**

الزيارةُ الأولى

لم تكن صدفة ،ولكنها عشوائيةٌ محكمة

أمينة

أصابها الملل والاستياء ،فأرادت الهروب ولو ليوم واحد؛ لتصنع شيئاً جديداً تجني منه السعادة, وإن كانت سعادةً مؤقتة.

تذكرتُ حين كنت صغيرة واصطحبتني

أمي إلى المشفى لزيارة قريبها المريض ،ذهبت معها إلى إحدى المشفيات الحكومية, كانت المرةَ الأولى لزيارتي مشفى.

طفلةٌ صغيرة ترى عالم المرضى ، والأطباء ،وبعض الأشجار التي تزيد من فسحة المخيلة عن كثب لأول مرة.

تركت أمي ، واتجهت لعنبر مجاور لعنبر قريب أمي المريض . كانت هناك سيدةٌ مسنة بدا عليها الحزن وشرود الذهن , جلست بجوارها ؛ بغية أن اعرف فيما هي مشغولة البال ، سألتها عن سبب حزنها فأجابتني ؛ بأن أولادها تأخروا عن موعدِ الزيارةِ اليوم فانتابها القلق إثر ذلك , وتبادلت معها أطراف الحديث بأمورٍ أُخرى لا أتذكرها....

مرت أعوامٌ طويلة على هذا اللقاءِ العابر ،كلُ ما أذكرهُ هي تلك السعادة التي غمرتني حين تركت المسنة لأذهب لأمي وما إن عدتُ إليها مرةً أخرى وجدتها تجلس على سريرها ، محاطة بأشخاصٍ من الواضح أنهم أبنائها.

بَدتْ سعيدة لدرجةِ أنها لم تشعر بوجودي انتابني شعور بالسعادة ؛ لسعادتها آنذاك.

كم تجتاحني الرغبة بزيارة المشفى مرةً أُخرى ؛لعلى بزيارةٍ عابرة أُسعد أحد المرضى فأسعدُ أنا الأخرى ..

أخرجها من شرودها سائق التاكسي قائلا.

- هي دي المستشفى؟

هزت رأسها إيجاباً ،وأخرجت النقود من حقيبتها ،دفعت أجرةَ السائق ،ثم ترجلت عن السيارة ؛لتدخل المشفى لم تكن المشفى كالسابق ؛المباني كما هي مع اختلاف ألوان الجدران ، اقتلعوا العديد من الاشجار تاركين بعض العشب ،وأشجاراً قليلة,وسرعان ما لاحظت اختلاف تعامل الأطباء مع المرضى ما إن وطئت قدمها المبنى , لم يختلف المكان من الخارج فقط بل تسلل السوء لداخله.

(.....)

منذ فترة وأنا أعيش حالة من الهدوء التام ؛ لا تؤرقني ذكريات ،ولا يشغلني حاضر ،أو تخطيط للمستقبل . وكأنما أعيش أضغاث أحلام، لاحت لعقلي ذكريات حاولت جاهداً الهروب منها.

تذكرت أحد الأعياد في صغري , لم يكن العيد الأسوأ ، ولكنه حمل إليَ مالم تحمله الأعياد الأخرى ؛ تأزمت الأوضاع المادية ؛ فتأخر أبي في شراء ملابس العيد خاصتي ، اصطحبني قُبيل العيد بيوم لشراء ثياب العيد. اشترى لي بذة(بدله)الضابط ،التي كانت موضة يومنا ؛ فتجد في المناسبات كل الأطفال بحلة ضُباطٍ صغار(براءة تختال في زي رسمي)، واشترى لي أيضاً حذاءاً بألوان مضيئة ذو نعلٍ مرتفع ،لطالما حلمت بهذا الحذاء...

عدت سعيداً بصحبة أبي ؛ فثياب العيد ستنام جواري الليلة ،كنت سعيداً كمن حقق كلَ أحلامه، ولكن رمقت عيناي طفل صغير مشرد بثيابٍ بالية كان جالساً على أحد الأرصفة , نظر إلي متبسماً ،فبادلته البسمة,, ،

لعل أحلامه يوماً تشابهت مع أحلامي وتمنى بذةً و حذاء , لم يتشابه تبسمنا البته وكأنما ابتسامته حزنٌ متنكر، لم يسبق لي رؤية ابتسامةٍ كهذه ؛ فانشغل فكري بها طويلاً...

كم تمنيت لو أنني عدت ،وجلست بجواره ؛لعلني أُسعد قلبه , أو احادثه في أي موضوع ممل, أو كنت أقص عليه إحدى النكات السيئة فيضحك من سوءها ،ولكني ذهبت للمنزل بثيابي الجديدة تاركاً عقلي عند ذلك الطفل ،وابتسامته.

لم أدرك حينها أن الأيام ستجري سريعاً لتشبه ابتسامتي ابتسامته (حزن متنكر).

(أمينة)

تفقدتْ المشفى , شاهدت كل المرضى ، مرت بكلِ العنابر ، لم تجرِ حديثاً مع أحد ؛ أخرست لسانها حالة البؤس الشديد في عيون المرضى ؛ فلم تقدر على محادثتهم , شعرت كأن محاولة التخفيف عن أحد هؤلاء البائسين , هي أشبه بالمحال ؛ أنهكهم الحزن ،وأعياهم المرض فما يغير حالتهم؟ !كلمات **أمينة** البائسة هي الأخرى ، لكن !هو من جعلها تتوقف !!؛رأت من زجاج العناية شاب نائم في السرير أمامها لا يحرك ساكناً موصول بجسده العليل العديد من الأسلاك الموصولة بالأجهزة الطبية ،على أنفه جهاز تنفس ،وعلى صدره أسلاك من جهاز قياس نبض القلب ،ما الذى أدى بشاب بهذا العمر أن يرفض الحياة إلى هذا الحد ؟ !؛ ليفصل بينه وبين الموت عدةُ أسلاكٍ ،وبضع أجهزة, ما الذي جاء به إلى هذا المكان؟...

مرت الساعات سريعاً ،لم تشعر بألم قدميها من الوقوف لساعات ،و ودعته مرسلةً إليه بخاطرها السلام.

تركته ؛ لتعود لمنزلها , فتحت **آثار** الباب **لأمينة**

- ادخلي بسرعة أنا قولت لأبوكِ إنك رجعتي من الجامعة ، ونمتي ادخلي غيري هدومك بسرعة**(قالتها بصوت خافت خوفاً من أن يعرف أبيها)**

أسرعت أمينة لغرفتها ، بدلت ثيابها سريعاً ، لتفاجئها إثر ذلك طرقات الباب التي تعرفها جيداً ؛ لتعلن حالة الذعر بداخلها.

(.....)

حاولت أن أتناسىَ تلك الفترة ، وذاك الشعور بتأنيب الضمير الذي ينتابني كلما تذكرت هذه التفاصيل ، لكني اذكر ابتسامتها الساحرة ، وأذكر الدموع التي سقطت من أجلي من عيون الآخرين...

كان العام الثاني لدراستي الجامعية ، رأيت فتاةً تقف على مسافةٍ ليست بالقريبة مني ، لم نصطدم ببعضنا كالأفلام ،وتتوقف عقارب الساعة ،كل ما حدث أنها كانت تضحك كفتاةٍ مفعمةٌ بالأنوثة , فتاه ذات ابتسامةٍ ساحرة تجذبك لعالمها ما إن تقع عليها عيناك ,كانت أجمل في زيها الشتوي, وقبعتها المصنوعة من الصوف بخصلات شعر متطايرة ،كانت لوحة من جمال ،لا يستطيع رسامي الكون تحديد

تفاصيلها ...
مرت أمامي ، فخفق قلبي . مر شهران ، بحثت عيناي عنها في كل الوجوه كل ولم تجدها ، وكأنها عطر فاحت رائحته لثوانٍ ثم تبخر .
توالى مرور الأيام التي لم تمتلئ بشيء سوى الحزن على غياب ذاك العطر.

بدأت حكايةٌ جديدة ، حين أوقفتني زميلتي **آية** ؛ أعطتني دفتر محاضراتها دون أن أطلب ، ثم مشت بعيداً عني بضع خطواتٍ وعادت مَرةً أخرى ؛ لتسألني عن رقم هاتفي ، اندهشت من طلبها! ،ولكني أطلعتها على الرقم ؛ فكل أبناء آدم لا يرفضون أن تطلب أي فتاة في الكون رقم هاتفهم ، وأنا من أبناء آدم أيضاً مرت أيام قليلة لا اذكر عددها ، لانتبه لصوت دقات عقارب الساعة معلنةً بلوغ الساعة العاشرة مساءاً.

رن هاتفي برقم غريب ، فأجبت:

- ألو
- ازيك؟ أنا **آية**.
- الحمد لله ازيك أنتِ؟
- تمام.

صمتت قليلاً فحاولت أن أكمل الحديث حتى لا ينتابها شعور بالحرج

- أنا متشكر جداً على كشكول محاضراتك فادني جداً.
- الشكر لله أنت تأمر.
- الأمر لله.

ضحكت ثم صمتت ،ولكني لم أنهي المكالمة ؛ علها ارادت إخباري

شيئاً بخصوص مشاكلها مع زوج أمها؛ لكنها صمتت طويلاً,

ثم قالت:

- أنا بحبك من سنة أولى مش هعرف أخبى أكتر من كده.

قالت جملتها ثم صمتت ؛ فأثقلني عناء إخبارها الحقيقة سمعت صوت أنين كأنها تبكي

فأجبت ؛لمجرد إبعاد الحزن عنها(,لم أكن أدرى أن أسباب شقائي ستكمن وراء تلك الإجابة)

- وأنا كمان.

لم تنطق اكتفت بضحكة تنم عن سعادتها ثم أنهت المكالمة. وفى اليوم التالي اتصلت لتطمئن علي ،ثم أعادت الكره في اليوم الثالث ، والرابع , مر أسبوعان وهى تهتم بي ،فالزمني اهتمامها بي أن أعاملها باهتمام أيضاً ,جاهدت نفسى لأمتلك الجراءة لأخبرها بكل شيء

- **أية . أنتِ** أحسن بنت قابلتها في حياتي , طيبة , بتهتمي باللي حواليكي, بس أنا مش قادر أحبك مش لعيب فيكي أنا مستاهلكيش.

تمرنت مراراً لأخبرها بتلك الكلمات ؛ ليأتيني صوتها باكياً أخبرتني أنها لن تستطيع التحمل أكثر ، فزوج أمها لا ينفك يخبرها أنه هو من يعولها هي ،وأمها ،وإنه يتوجب عليها شكره دائماً فلولا وجوده لكانت الآن تشحذ بإحدى إشارات المرور , لكن ما حدث اليوم هو الأسوأ إلى الآن, عايرها بموت أبيها قال " : إن كان أبيها رجلاً حقاً ما كان ليتركها هي ،وأمها بحاجة لمن يعولهما ."كل ما استطاعت فعله هي وأمها أنهما امتنعتا عن تناول الطعام ، وهى تعلم جيدا أن قريباً سيقرصهما الجوع ؛فتضطران لتناول الطعام ،وتذهب كرامة أبيها إلى الجوع ،والحاجة .

قالت تلك الكلمات ثم بكت إلى أن أحسست من صوتها أن أنفاسها قد انقطعت هدأتها, ولم أستطع فعل أكثر من مجرد دعمها ببضع كلمات ثم أنقضت تلك الليلة ...

و انتهى العام الدراسي سريعاً ؛ لأحظى بزيارة الإسكندرية صيفاً ؛ فأجدها تجلس أمامي فخفق قلبي ثانيةً.

(أمينة)

كان الطارق هو أبيها ؛ طريقته في طرق الأبواب المغلقة لا تختلف كثيراً عن طرقات رجال الشرطة فيبث الرعب في أوصال **أمينة** دون جهد يذكر,فتحت الباب وهي خائفة أن يكون قد عَلِم أنها تأخرت في العودة للمنزل ،ولكن حين فتحت

الباب كان السبب أتفه من أن يدور شجار حوله ,تراجعت **أمينة** إلى أبعد ركن في الغرفة خوفاً من غضب أبيها..

فقال:

- أنتِ مخرجتيش للغدا ليه ؟
- مش قولتك ميت مرة لازم تبقى موجودة على الغدا , يلا علشان أمك عملت لك أكل ،وبعد كدة أبقى كلي و اعملي اللي يريحك

لم تتفوه **أمينة** بحرف نظرت له بذعر وما إن غادر الغرفة حتى جلست تبكي ...لم تكن المرة الأولى لصراخه ،ولن تكون الأخيرة ؛ولكنها المرة الأولى التى يهتم فيها بطعامها قطع بكائها صوت **أثار!!**.

- أمينة يلا حضرتلك الأكل ،وحطيته قدام التلفزيون. يلا علشان تاكلي.

. . . . . .

خرجت **أمينة** من غرفتها فوجدت صينية الطعام موضوعة على المنضدة أمام الأريكة التي يجلس عليها أبيها جلست أمينة ،وأثناء تناول طعامها لاحظت شرود أبيها كان يقلب في محطات التلفاز دون هوادة ، دون أن ينظر لمَّا يعرض ،فقط يتنقل بين محطات التلفاز اندهشت من شروده ؛ حين قامت لتدخل الصينية المطبخ ثم تغسل يديها, نظرت لأبيها نظرة سريعة ،كان يظهر على ملامحه الحزن ،لم تظهر تلك النظرة في عينيه منذ موت أخيها غير الشقيق.عادت إلى غرفتها) ملجأها الآمن من قسوة العالم ,(ثم تذكرت ما جعل الحزن يظهر في عين أبيها ؛ اليوم ذكرى وفاة أخيها غير الشقيق ؛فهي فتاة مع أخوين, أخ من زوجة سبقت أمها ، طُلقت من أبيها يا لحظها السعيد...!

لقى أخي من أبي حتفه إثر حادثة , لم أكن قد عرفته من قبل ،رأيته مرة في حياتي ,كان يشبه شاب العناية كثيراً ،لم أستطع رؤيته بصورة واضحة أيضاً بسبب كثرة الأجهزة المعلقة بجسده ؛ثم فارق الحياة في اليوم التالي لزيارتي له , أما أخي الشقيق" **علي** " قُطع دابر دلاله منذ وفاة أخي غير الشقيق ،تحول دلال أبي إلى تعنيف ،عاقب أبى أخي على إهماله هو لابنه الذي تناساه فتذكره حين توفى ، ليعاقبنا نحن على تقصيره ،وبعض مرور وقت ليس بطويل ,

كان يوماً شديد البرودة , حين بحثنا عن أخي فلم نجده , انتظرنا عودته ليومين , لكنه لم يعد كان عزاء أمي أنه أخذ ثيابه معه ؛ فتأكدنا من أنه رحل بإرادته

بحث أبي عنه في كلِ مكان ،لكن دون جدوى. . ؛أما أمي فزادت قلة حيلتها بالعجز ، والضعف.

مر شهران من الانتظار المرير ، رن جرس الهاتف الأرضي ؛ فتجيب أمي متلهفة كان **علي** هو المتصل , أخبرها أنه سافر إلى أوروبا عن طريق الهجرة غير الشرعية بكى طيلة الاتصال ،سمعت بكائه ،وأنا أقف بجوار أمي ؛ أخبرها أنه رأى الموت كثيراً, وأنه يرى في كل لحظة طيف زملائه في هذه السفرية ، الذين لم يستطيعوا النجاة من الغرق , وأن من نجى منهم لم تغنيهم نجاتهم عن سوء المعاملة من المسئولين عن هذا الجحيم المسمى "سفر عن طريق البحر "ثم أخبرها أنه

تعب في أول أيامه في إيطاليا ثم أستطاع الحصول على عمل في أحد المطاعم ، ويسعى للحصول على أوراق قانونية بأي طريقةٍ كانت.

انتهت المكالمة ببكاء أمي تحسراً اطمأنت ،ولكنها ازدادت حزناً على حزنها ؛ تخشى أن لا ترى أخي مرةً أخرى ، قد تتوفاها المنية قبل أن تمتع عينيها برؤيته مرة أخرى.

أما أبي فعاقبنا أنا وأمي بئس عقاب على رحيل ذكوره.

منذ أربع سنوات لم أرى أخي ،لا أعرف كيف أصبح الآن يحادثنا كل فترةٍ طويلة.

استبد بي الحزن ؛ حين لاح لخاطري أنه لو كنت أنا من مات أو هاجر ما كانت تلك النظرة لتطل من عيني أبي بل ربما كان أكثر سعادة.

. . . . . .

قاطع تدفق تلك الهواجس اتصال من شخص غير متوقع..

اللقاء

" يطلق القلب سهامه دفعةً واحدة غير مبالٍ أي سهم سيصيب"

(.....)

قررت السفر إلى الإسكندرية لزيارة عمي ،رفضت أمي المجيء معي قالت أنها لم تعد تستطيع السفر إلى الإسكندرية منذ رحيل أبي فسافرت بمفردي , جلست بجوار نافذة القطار الزجاجية ، أحب النظر للطريق والقطار يمر سريعاً , تذكرني سرعته بحياتنا ؛ تمر هي الأخرى سريعاً بلا هوادة.

أنطلق القطار لأنظر أمامي فأجدها, صاحبة الابتسامة الساحرة, بحثت عنها عيناي لعام كامل لأجدها في النهاية تجلس أمامي ، لا يفصلني عنها سوى ثلاث مقاعد, لم أستطع رفع عيني عنها, كانت صامته ، ثم تحدثت في الهاتف أثناء حديثها ابتسمت فبدت أجمل مما رأيتها سابقاً , شعرت بالغيرة ،تمنيت ألا يكون من يحدثها بالهاتف حبيبها ،ولا أي رجل آخر أياً كانت العلاقة التي تجمعهم, عين سوداء براقة ، وملامح رقيقة متربعة على وجه ملكة تستحق البحث والعناء ليس لعامٍ بل لأعوام مديدة.

راقبتها ،فالتقت أعيننا مرةً ثم صرفت نظرها عني سريعاً ؛بيد أن نظري ما شاح عنها لحظة.

. . . . . .

بعد ساعتين من الحلم توقف القطار في محطة الإسكندرية ، فغابت عن ناظري

وسط زحام المغادرين للقطار ؛انتابني الحزن لضياعها مرة أخرى, أسرعت لكن دون جدوى؛ بحثت عنها كثيراً ولم أجدها,,,. لحسن الحظ رأيتها في النهاية أمام المحطة تستعد للرحيل بحقيبة ملابس ثقيلة ؛ قررت اغتنام الفرصة التي منحني الله إياها اقتربت منها حيث أصبحت خلفها تماماً لا يفصلني عنها سوى خطوات قليلة ،رقص قلبي فرحاً لوهلة ثم أنقبض خوفاً ؛كيف أحادثها؟ ،وماذا أقول؟

- وجدتني أقف أمامها ؛وباضطراب حبيب يتفوه للمرة الأولى إلى من أحبها ,تشجعت ثم تحدثت إليها:
- أزيك ؟.أنا أعرفك.أنتِ في جامعة القاهرة؟

رمقتني باستهزاء وتحركت من أمامي ،فلحقتها ومددت يدي لأصافحها,

- أنا أعرفك أنتِ متعرفنيش شوفتك في كلية هندسة جامعة القاهرة قبل كده ،وميصحش أسيبك تشيلي الشنطة لوحدك ،هشيلهالك بس والله ما بعاكس.

ابتسمت لي وتركت الحقيبة لي ؛ فحملتها واتجهت هي لإحدى سيارات الأجرة وأوقفتها، فلحقتها. ثم ألتفتت لي باستهزاء.

- الشنطة لو سمحت متشكرة إنك شلتهالي عن اذنك,

وضعت لها الحقيبة في السيارة ،ثم صعدت للسيارة ،ورحلت ابتسمت ابتسامة أعرفها بدت كمن تحتفل بالنصر، لكني لم أكن طرفاً هيناً في تلك المقابلة. تركت لها ما يجعلها تختارني أو ترفضني...

(أمينة)

- ألو

جاءها صوت شاب, لعله أحد الشباب الفاشلين اللذين لا تكتمل متعتهم إلا بمضايقة الفتيات في الشارع ، أوعن طريق الهاتف ليلاً وكأن نساء الشرق خلقن ليحتملن كلَ عابث ضال في أيٍ من شوارع المحروسة.

فجاءها صوته مرة أخرى :

- أمينة, روحتي فين أنا **أحمد**.
- **أحمد** مين ؟
- **أحمد** زميلك في الجامعة أنا آسف إني اتصلت أنا خدت رقمك من **مروة** صحبتك.
- ماهى **مروة** كانت قايلالي إن لو حد عاوز رقمي من زمايلنا ، و وافقت بس كنت فاكرة بنات بس ؛مكنتش أعرف إن هيبقى فى زمايل ولاد كمان,

أفضت بكلماتها كالمدفع بغضب ،وسيطر عليها الخوف. ماذا إذا دخل أبيها؟ أو فتحت آثار الباب فجأةً ؛ قد لاتفهم الأمر؛فتحدث بصوت خجل.

- أنا آسف أنا قلقت علشان مجيتيش الجامعة أمبارح ،فخفت يكون فيه حاجة.

حاولت الحديث بهدوء ،لكن ما إن نطقت ظهرت عصبيتها من جديد.

- لا , أنا كويسة ،وهو الطبيعي إني لما أتعب ،أو أغيب الجامعة كلها تعرف ,لازم أتصل بالجامعة كلها أعرفها إني تعبانة ؟

سيطر على صوته الحرج الشديد.

- أنا آسف مقصدتش.
- شكراً على سؤالك **يا أحمد** , سلام.

- انهت **أمينة** الاتصال لم تنتظر منه إجابة أخرى .

ربما شعر **أحمد** بالندم لكن ما تلك الجرأة ؟ما هذا العنف والتهكم من جانبها ؟كان من الممكن أن تنهي الاتصال بطريقة أفضل ، لو أنها تحدثت بلين يبدو انها اخذت كثيرا من طبع ابيها الحاد ،؛خَشيت أن يكون اتصاله بداية علاقة مختلفة ستجمعهم ، وهي لا تريد سوى إغلاق تلك الأبواب ؛لن تفتح قلبها ليتملكه رجل ثم يعذبها ؛ستغلق قلبها ،ويكفيها ما **فيها** ؛ لن تتحمل أعباء الأخرين.

(.....)

انتهت زيارتي لعمي , لم تكن زيارةً ممتعة ؛ لم يسلب البحر عقلي ،ولاجمال المدينة من تفكيري بضحكتها ؛أهلك التفكير عقلي فيما إذا كانت ضيعت الورقة ؟أو لن تتصل بي أبدا.

عدت للقاهرة ،بحثت عن عمل, لا جديد يحدث تتصل **آية** كل ليلة لتخبرني عن تفاصيل حياتها ، ومدى حبها لي ؛ فأبادرها بردود ترضيها ككاذب بارع خدعها فى كل مرة جمعنا حديث, أجيب على اتصالات **آية** متمنياً أن تكون المتصلة هي الأخرى ،وليست **آية...**

يمر الوقت ويصلني ليلاً اتصال من مجهول !! ؟ واحظى بسماع صوتها

، تحدثت بانفعال ،لكن كفاني أنها اتصلت.

- أنت يا أستاذ أنت مش معنى إنك شفتني قبل كده . إنك تسيب لي رقمك في شنطتي على ورقة ؛ دي اسمها وقاحة بأي حق تفتح شنطتي ؟
- أنا آسف اسمعيني بس.
- أنا مكنتش هتصل من الأساس بس كل ما بشوف رقمك اللي حطيته في شنطتي ،بحس إني عايزة اشتمك.
- ليكي حق
- أنا سبت الرقم علشان أسيبلك الحرية تكلميني لو عاوزة.
- بأي حق ؟.!

- بحق إني بحبك متعرفنيش ومعرفكيش بس بحبك بقالي حوالي سنة ، ومكانش ينفع اطلب رقمك ، ولا ينفع أضيع الفرصة.

ساد الصمت ، لم أسمع سوى صوت أنفاسها المتلاحقة، وبعد أقل من دقيقتين من صمتها ،انهت هي الاتصال. كان ذلك كافياً لقلب عقلي ؛لم أفهم, أأحادثها ؟أم أنتظر؟ لكنها سمعتني ثم أغلقت الهاتف ،فلم يحدد عقلي موقفها ؛ فاكتفيت بانتظارها مرةً أخرى لتقرر هي.

(أمينة)

مر أسبوع لم تذهب للجامعة سوى يوم واحد ، كان **أحمد** يقف على مسافة ليست ببعيدة عنها .لم يبعد عينيه عنها ؛ أحست أنه يريد محادثتها ،لكن لم تعطه فرصة ليقترب منها ,وقفت بمفردها ،وهو بمفرده أيضاً اقترب بخطواتٍ تجاهها ؛فأسرعت هي إلى مجموعة من الفتيات ووقفت معهم واتخذت من السؤال عن موعد الامتحانات حجةً لها ؛ فطن هو بدوره أنها لا تريد محادثته فابتعد...

غادرت الجامعة , ولم تذهب إلى الجامعة مرة أخرى ذاك الأسبوع ، ليس لأجل **أحمد** ؛ ولكنها تذهب لمريض العناية

. . . . . .

أمام زجاج العناية راسلته بخاطرها:

- أتسمعني ؟أتراني روحك ؟ لا أعلم لعلك تراني عبر زجاج روحك ، أو لمحتني في زياراتي السابقة أتمنى أن أحادثك.

لم تشعر بدموعها التي انسابت على وجنتيها كل ما كان يشغلها هو كيف يشعر الآن ؟ مفترضةً أنها مكانه أكثر من أسبوع تداوم على زيارته وهو بنفس الحال نائم كجنين في رحم أمه لا يحرك ذراع ، ولا ترمش عينيه. كم يمل هذا الثبات المستمر؟

. . . . . .

اقتربت **الممرضة صابرين** من أمينة.

- أنتِ تعرفيه؟

فأردفت **أمينة** بحذر يخفي خوفها

- اه أنا قريبته هو عامل ايه ؟.
- زي ما هو بقاله سبع شهور نايم النومة دي.
- ايه اللي جراله ؟

حكت جبهتها تحاول التذكر

- تقريباً حادثة. أه صح كانت حادثة انتحر بس مش فاكرة ازاي بس ايه اللى فكركوا بيه دلوقتي؟

تلعثمت **أمينة**

- ك.كنا مسافرين عن اذنك ؛ أصلي أتاخرت على البيت.

أسرعت **أمينة** لتبتعد عن أسئلة **صابرين** ، ولكنها أرادت أن تعرف اسمه ،وكيف حاول الانتحار؟ لكن كيف تسأل قريبة عن اسم قريبها المريض؛ تركت **أمينة** المشفى ،وفى طريقها للمنزل تذكرت عدد المرات من طفولتها إلى الآن التي قررت فيها الانتحار ما بين أن تكتم أنفاسها لتترك جسدها للموت ،وبعد ثواني لا تحتمل أكثر ، فتظفر بشهيق طويل لتمتلئ رئتيها كما لو أنها لم تلتقِ الأكسجين قبلاً كم مرة وضعت حبات الدواء بجوارها ؟ من أجل ابتلاعها لتفارق الدنيا, حاولت كثيراً قطع شرايينها بأداة حادة ؛ ولكنها لم تجرؤ ؛ عجزت في كل مرة حاولت الانتحار ؛ لعدم قدرتها على مفارقة الحياة باختيارها . فما السبب الذي حمله على تلك الجرأة؟ حتى يتعجل موته.

نزلت من الحافلة التي تبعد عن بيتها مسافة صغيرة وقد قررت أن تعرف ما الذي أودي بهذا المريض للانتحار؟.

(.....)

مر أسبوع آخر ، وساحرتي لم تتصل يبدو أنها لن تسمح لي بالاقتراب منها.لكن اتى ما ليس في الحسبان ؛ فاجأتني باتصالها مرةً أخرى ؛ رقص قلبي على أنغام رنين الهاتف ،كنت سجلتها على الهاتف باسم فاتنتي الساحرة ؛فكان صوتها ساحراً أيضاً

- ألو.
- كنت بتمنى تتصلي تاني.
- أنا عايزة أقابلك هبعت لك العنوان ،والميعاد في رسالة.

لم تنتظر منى جواب أغلقت الخط لتنهى المكالمة ،ويعلن قلبي الاحتفال ،وينتظر الموعد ،واللقاء الأول غير مبالى بأي شيء آخر.غمرتني السعادة ذلك اليوم كما لم أفرح من قبل,

رن هاتفي ليعلن وصول الرسالة:

((كافية.....وسط البلد ،يوم الأربع الساعة12 الدهر))

انتظرت الموعد كحالم بالحياة أن تدب في أوصاله من جديد,ارتديت أجمل ملابسي وذهبت للمقهى ؛لتقع عيني عليها.

كانت جالسة على طاولة في أحد الأركان ازادت ابتسامتي كطفل وقعت عيناه على لعبة جديدة فانبهر بها ؛فلم يرفع عينيه عن لعبته .

للحب متعة ذاقها قلبي الآن , اقتربت منها ،ثم جلست في هدوء ،وابتسامتي تملأ وجهي أما هي فكانت جامدة لا يعتلي وجهها أي تعبير,كانت تنظر في هدوء ؛ فلم استطع التنبؤ بحالتها تمنيت أن يصدر عنها أي فعل ،ولكنها صمتت ،فصمت أنا أيضا متسائلاً أأنتظرها أن تتحدث ؟ ؛ لألملم ما أتفوه به لكنها صمتت فتجمد كل شيء حولي, جاءنا النادل سائلاً ماذا نريد من شراب أو طعام؟

فنظرت لها محاولا فتح مجال للحديث باستحياء.

- تشربي ايه؟

لم تنظر لي وجهت حديثها للنادل

- ممكن آيس كريم
- وأنا واحد قهوة مضبوطة.

بادرت بفتح حوار فتلعثمت كأني تلميذ في اختبار,

- أنا.. أنا **(فقاطعتني هي)**
- أنت بتحبني فعلاً ؟

هززت رأسي بنعم ،وأفضى لساني بكلمات لم أعلم أني أستطيع النطق بها ،وكأنها فرصتي الأخيرة لأنال كأس الحب.

- ممكن تقولي بكدب أوعايز أتسلى بس شفتك في الجامعة. كنتي بتضحكي ،وفضلت أدور عليكِ حوالي سنة.. ومشوفتكيش بس منستكيش ،ويوم ماشفتك في القطر كنت بحمد ربنا على تدبيره ،وأني قابلتك تاني, طيرت من الفرحة ؛ يوم ما قولتيلي نتقابل.

ثم أخذت شهيق كمن عاد من معركة لأنطق بآخر كلماتي

- لوده ليه اسم عندك غير إنه حب ،هيبقى عندي حب مش حاجة تانية.

جاء النادل وضع علبة الآيس كريم أمامها ؛فابتسمت كطفلة ؛فلم أفهم ،هل تعشق النساء الشوكولاه حقاً لأنها تساعد على تنشيط الهرمون المسؤول عن الشعور بالسعادة أم إنها خدعة كشاربي السجائر؟ ،لكن طريقتها في إمساك الملعقة وتناول الآيس كريم في صمت باستمتاع لم يوضح سوى أنها تعشق الشوكولاه كعشق رجل لحَبيبته, احتسيت قهوتي في هدوء ،و انتهت هي من تناول(المثلجات)الآيس كريم ،نظرت لي لدقائق ثم وقفت وأخرجت النقود من حقيبة يدها ووضعت ثمن الآيس كريم بجوار العلبة الفارغة

؛فوقفت أيضاً فكرت في أن امنعها من دفع حسابها ،ولكن بأي حق أمنعها ،أو أحاول الدفع بدلاً عنها لن أكون سوى متطفل جديد

فتركت حسابي على الطاولة ،وأسرعت لألحقها كانت تتمشى بخطوات واسعة ،وسريعة خرجت من الكافية فلحقتها ،التفتت لي بثقة كأنها تعلم أني ألحقها ،قالت بهدوء وابتسامة عذبة:

- اسمي **مَريم**.

نطقت اسمها ثم أكملت طريقها ،لم أفهم ما حدث اليوم لكني أدرك إني أعشقها ,عشقت **مَريم** ،تتملكني رغبة بالوقوف في كل شوارع القاهرة والنداء بأعلى صوتي قائلا :أحبك يا مَريم ،ولكن اتصالات **آية** قتلت رغبتي ، لم أعد أريد خداعها أكثر، لكنها لم تمنحني فرصة كانت تبكي لأنها قلقة ،من عدم استطاعتها رؤيتي أو التوصل لخبر عني لمدة يومين فبكت من فرحتها لاطمئنانها علي ، فلم استطع النطق إلا بما يطمئنها ،لكن رغبة جديدة ألحت عَلى أردت إنهاء تلك

المكالمة سريعاً لأنتظر اتصال **مَريم** ،أو أبادر أنا بالاتصال فتجيب فانعم بصوتها الدافئ , شعرت بأن **مَريم** تملكتني.

((ااه يا مَريم يا حبي ،وعجزي ، وكل نبضاتي يا مَريم...

كتبت تلك الرسالة على هاتفي ،لكني لم أرسلها قررت أن أرسلها حين أتأكد من شعورها نحوي فلم أكن أعلم أن سذاجتي لم تمكني من إدراك أن تلك الرسالة لن ترسل يوماً.

(.....)

ذهبت إلى المشفى تلك المرة، وقد قَررت أن تحدثه عن طريق روحه ،لا تعلم هل سيصله ما أرادت إيصاله أم لا؟ .لكنها تعرف أن هناك أناس يتواصلون بغير كلمات فستحاول أن تكون منهم لن تمنعها ألواح زجاج من إتمام تلك المحادثة ،وإن كان هو أراد الابتعاد عن العالم البشري بإرادته فلن تكون بشر ستكون جزءاً من عالمه فتحدثه

- لا اعرف إذا كان ما أريد قوله سيصلك أم لا، لكنى أدعى **أمينة** منذ ما يقرب من شهر ،وأنا آتي إليك لا أريد أن أصبح غير مرغوب بي من قِبلك أعدك أني سأزورك باستمرار إلى اليوم الذي تستفيق به ،في ذلك اليوم من المحتمل ألا أزورك مرة أخرى أنا لا أزورك شفقة ،وإن كان البشر لا يفهمون المعنى الصحيح للشفقة فمعناها الحب الشديد ، وليس العطف والإذلال ،ولكني بلغة البشر أشفق على نفسي بزيارتك انتظر أن تحيا من جديد لأحيا أيضاً

قالت ما أرادات البوح به في محادثتها له ،ثم فتحت عينيها نظرت إليه من خلال زجاج العناية ثم التفتت إلى اتجاه السلُم لكنها عادت إليه مرة أخرى ابتسمت ،وبصوت خفيض يقرب إلى الوشوشة نطقت.

- هسميك ابن الناس علشان أنت أكيد ابن ناس أنا همشي علشان متأخرش على البيت هحكيلك عن بابا في المرات الجاية.

هكذا ودعته ثم اتجهت إلى منزلها نامت في هدوء لتستيقظ في الصباح على صوت رنين الهاتف وجدت مروة هي المتصلة فأجابت

- ايه **يا مروة** أنام شوية الاقيكي متصلة عشرين مرة فيه ايه مهم للدرجة دي؟
- أنتِ كويسة؟
- اه الحمد لله.
- كويس طمنتيني أنا قلقت بقالك اسبوعين مجيتيش الجامعة ،ولما فضلت اتصل ،ومردتيش اتصلت على البيت ،ومامتك اللي ردت فقولتلها....":

قاطعتها **أمينة** بغضب:

- يعني عرفتي ماما إني مبرحش الجامعة؟
- اه كنت عايزة أطمن عليكِ
- ماشي سلام , سلام
- استني هقولك **أحمد** عمال يسئل....
- سلام يا مروة.

أنهت **أمينة** الاتصال قبل أن تنتظر سماع حديث **مروة** , خوفها من معرفة **آثار** أنها لم تداوم في الجامعة زاد فضولها لتستمع لقصة **أحمد** الذي ظهر من العدم ليربك حياتها أكثر مرت ساعتان ،**وأمينة** لا تعلم ماذا تفعل لم تجرؤ على فتح باب الغرفة لتخرج ،تخشى أن تكون أمها اطلعت أباها على ما قالته **مروة** ،لكن ردة فعل **آثار** بثت الدهشة في عقل **أمينة**.

(.....)

لم أحاول الاتصال انتظرتها أن تتصل هي ،ولكني لم استطع الانتظار طويلاً اتصلت عليها في اليوم الذى تلى مقابلتنا لكنها لم تجب فخفت ألا يكون الرقم يخصها ، ويتسبب اتصالي ببعض المشاكل لكني لم استطع منع نفسي من الاتصال ،وفى المرة الثالثة أجابت.

- أنا معرفش اسمك؟

- اسمى **آسر**.

(ضحكت بعذوبة كنهر كاد أن تجف مياهه ثم أرتوى فارتويت أنا أيضاً)

- ماشي **يا آسر** أنا بخير عارفة إنك اتصلت تسألني ايه إحساسي تجاهك من الآخر أنت مش فتى أحلامي أوي بس.. سأمنحك فرصة.

نطقت الجملة الأخيرة باللغة العربية الفصحى ،ثم علت ضحكاتها مرة أخرى ،وأنهت الاتصال أردت الحديث معها لأيام بدون انقطاع ،ولكنها دائما ما تتركني جائع لحديثها ، ولكل ما يخص **مريم**.

. . . . . .

انقضى شهر آخر ،**ومَريم** تحدثني وقتما أرادت أمنحها الحرية لتفعل بي ما أرادت تنزهنا معاً أكثر من مرة ، بدأت ترتاح لي أرى ذلك في نظراتها ،باتت تحدثني عما تحَب، وتكره بت أحفظ تفاصيلها من الداخل كما أحفظ قسامات وجهها.

أما **آية** فلم يختلف الوضع لم استطع إخبارها أي شيء ولا اذكر من حديثها سوى بعض القصص المتشابهة فحياتها ثابتة كأنها شريط يعاد كل ليلة لم تكن أبداً **آية** السبب في اهمالي ،لكن البعض يختار هامش القصة مكانه ،والبعض الأخر لا يختار سوى أدوار البطولة ؛ فاختارت **آية** الهامش أما **مَريم** فتليق بها البطولة لكن قد تختلف أماكن الشخصيات في الرواية ،ومع كل تغيير لابد من ضحية لإتمام القصة فسواء كنا أبطال أو جزء من هامش جميعنا بشر.

. . . . . .

يوم رأس السنة اختلف هذا العام ، كان هذا اليوم بالنسبة لي مجرد رقم يعلن نهاية عام ، وبداية آخر لكن الوضع اختلف احببت هذا اليوم ،وازداد حبي **لمَريم** أيضاً . كانت تشع جمالاً وحيوية كانت تشبه الأزهار في فستان أحمر اللون زادها جمال أمضينا نصف النهار معاً، تنقلنا في الشوارع رأيت القاهرة ، وكأنني أرى جمالها من جديد ،وقضينا النصف الأخر من النهار على شاطئ النيل. تأملت **مَريم** بدقة كانت صامتة تدعوني للخروج ثم تصمت ، ظهر الحزن على وجهها لأول مرة فأحزنتني تلك النظرة , تحدثت في شئون الحياة جميعها ؛ لعلها تنطق ، بعد محاولات عدة نطقت أخيراً:

- عارف النيل ليه مكان الحبيبة ؟ علشان الميه اللي ماشية في النيل شبه شرايين دمنا الميه بتطهرنا حتى لو مليانين حقارة ،وقرف
- ومين فينا حقير ،ومقرف ،ولا أنتِ تقصدي غيرنا ؟

تذكرت في تلك اللحظة ما افعله **بآية** فما أفعله يدعى حقارة حقاً ، وإن كنت لم أختر فمجرد أن أجعل قلبها يستنزف ما يحتويه من حب مع شخص مثلي هو شيء أسوء من الحقارة ،والقرف .قطع لحظات جلد الذات كلمات **مَريم**.

- أنا اللي حقيرة ،ومليانة قرف

قالت كلماتها ثم ضحكت بكامل أنوثتها ، فشعرت لوهلة أن فتاتي لا يجب أن يراها غيري فقاطعتها حتى أوقف ضحكاتها:

- بس أنتِ لا حقيرة ،ولا مقرفة.
- بكره تعرف.

ثم ضحكت بشدة ،وعلا صوتها فتأكدت من أنها تمازحني.

. . . . . .

اتجهنا بعد ذلك إلى مقهى لقاءنا الأول, كان المقهى مهيأ للاحتفال بالأنوار ،و أشجار العيد وبابا نويل على باب المقهى اشتريت **لمَريم** (قبعة بابا نويل) ،فازدادت وجنتيها حمرة فازداد جمالها احتسينا مشروبنا ، وتناولت **مَريم** الأيس كريم بالشوكولاتة حلوتها المفضلة ثم تركتني لتدخل دورة المياه فتأخرت قليلاً فوقفت بعيداً , جذبني لوهلة طفل صغير يضحك ما أجمل تلك الفترة يا ليتنا لا تزداد أعمارنا فنشيخ مبكراً, صدمتني **مَريم** دون أن تراني في منحنى الممر الصغير ؛كدنا نتعانق كانت المرة الأولى التي ألمس يدها فيها لمستها دون قصد فاعتلتني رجفة حين شعرت بأنفاسها تمنيت لو أننا تعانقنا ،ولكني كنت عاهدت الله ألا ألمسها إلا وهى زوجتي, أخشى أن تعكر لمسة لاتحل لنا حَبنا انتهت الحفلة سريعاً أو الوقت الذي يسرع لينقضي حينما أقضيه برفقة **مَريم**, أوصلتها إلى الشارع الذي تتركني عنده لم تسمح لي أن أوصلها إلى باب دارها أبداً ،أوقفتها ،ونظرت في عينيها.

- أنتِ أحلى من حلاوة كل سنة جديدة.

ضحكت ،وتحدثت بدلال:

- أكيد طبعاً

كانت تمزح فقالت الحقيقة دون أن تدري

- ينفع متضحكيش بصوت عالي قدام حد ؟
- ينفع بس النهارده عاوزة أضحك براحتي ينفع؟
- ينفع.

ثم مشت خطوات فناديتها؛ التفتت تجاهي فتاه عن عقلي ما أردت إخبارها به:

- بلاش تبقى حلوة كده على طول.

ابتسمت بدلالها المعهود الممزوج بالرقة ، لا تستطيع أي امرأة أخرى إتقان هذا المزج أدارت وجهها وذهبت لمنزلها. انتظرتها إلى أن وصلتني رسالة من **مَريم** تخبرني أنها وصلت منزلها ؛ فعدت إلى منزلي تغضبني تلك الفتاة لم استطع السيطرة عليها دائماً هي من تفعل ما يحلو لها وأنا أستسلم , تمر الأيام سريعاً ؛مر شذهران آخران ابتعدت قليلاً عن **مَريم** مرضت أمي ،وكان حقها أن أرعاها ، وكنت أحاول أيضاً البحث عن عمل لا يتعارض مع دراستي ؛ لكنى لم أجد عملاً ،البحث عن عمل مناسب في القاهرة اشبه بالبحث عن مستحيل، لكني استطعت بعد فترة شاقة من البحث إيجاد عمل في ورشة نجارة لرجل طيب القلب يسمى **عم أمين** عملت لديه كمساعد له ، لم أفكر بكوني طالب بالسنة الثالثة بكلية الهندسة ،وعمل من هذا النوع لا يناسبني ، لكن إن رفض **عم أمين** عملي عنده ، فلن استطيع سداد مصاريف الجامعة ،ولقمة العيش ساعدتني **آية** في الموازنة ما بين الدراسة ،والعمل كانت **آية** تنظم وقتي لأستطيع حضور محاضراتي دون تقصير بعملي .

كان يومي منقسم ما بين جامعتي صباحاً ، وبعد الظهيرة عملي في الورشة ، أما مساءاً فخصصته للاهتمام بأمي ،وساعة قبل نومي أخصصها للمذاكرة ، وسط انشغالي لم استطِع أن يمر يومٌ دون التحدث إلى **مَريم** بالهاتف ؛كانت سبيلي الوحيد لينبض قلبي معلناً أنه لازال على قيد الحياة ،لم تكن **مَريم** مجرد حبيبة بل من تملك هذا القلب ،وتتحكم بمفتاحه . كانت **آية** تتصل بي مراراً فلا استطيع منحها سوى بضع دقائق لا أجد سبباً لتصرفي بتلك النذالة معها , لم لا أصارحها لتنجو بقلبها من حب شخص مثلي؟ أعلم أنني آثم بسرقة مشاعر تلك الفتاة ، ولكني لم أعلم أن القدر سيعاقبني بهذا الشكل .

(أمينة)

دخلت **آثار** غرفة **أمينة** نظرت إليها بغضب ، ثم أشارت **لها** بحزم.

- تعالي ورايا قومي.

لحقت **أمينة** **آثار** كانت ترتب الحجج ،والأكاذيب التي ستختلقها لتبرر غيابها عن الجامعة الفترة الماضية ، اتجهت **آثار** إلى المطبخ ، ولحقتها **أمينة** فأمرت **آثار** ابنتها أن تحمل أكواب الشاي الساخن وتتبعها بصمت ؛ ففعلت **أمينة** دخلا الشرفة كانا قد أوشكا على نسيان منظر شرفة منزلهم , جلست **آثار** فجلست **أمينة** أيضاً بعاطفة أم قالت **آثار**

- أنتِ بتروحي فين **يا أمينة** ؟
- بروح المستشفى

((تبدلت ملامح **آثار** إلى القلق))

- أنتِ تعبانة ؟
- لاء أنا بزور ست كبيرة تعبانة في المستشفى حالتها صعبة ،وملهاش حد.
- وعرفتيها فين ؟
- شوفتها صدفة في المستشفى كنت هناك مرة ،وهى كانت تعبانة فبزورها من يومها.
- بس متخبيش عليا حاجة تانية ، وبتتكلمي بصوت واطي ليه ؟
- قومي يا ماما لبابا يجي مش عايزة خناقات.
- أبوكِ سافر أسبوع ؛علشان يزور **علي** أخوكِ.
- يا بختها مَصر ،و يا عيني على إيطاليا.

ضحكا معاً ، ثم شردت **آثار** فبدا علي ملامحها حنين أم خلع قلبها لابتعاد لم يكن بإرادتها

- أبقي اتصلي **بعلي** لو كل شهر **يا أمينة** اطمني على أخوكِ
- حاضر يا ماما

طمئنت **أمينة** أمها ولكنها لن تتصل **بعلي** ،لم يعد يشغلها أمره فلم لا يتصل هو ؟ وهي لن تتصل

مرت الساعات سريعاً و يا لجمال جلسة السمر التي جمعت ما بين أم وأبنتها! ،ثم نامتا معاً في نفس السرير تعانقا طوال الليل ،كأنهما ذاقا سنوات من الغربة تحت نفس السقف ، وفى اليوم التالي أعدا فطورهما معا ،ثم ذهبت **أمينة** إلى الجامعة , رتبت أن تذهب هي ،**ومروة** لتناول الغداء معاً في أحد المطاعم فاتصلت **أمينة** على **آثار** لتطلب منها السماح لها بالذهاب فوافقت **آثار** على طلبها .
أغلقت **أمينة** الهاتف لتجده أمامها, كان **أحمد** ينظر كحَبيب اذابه العشق ،لم تجد سبباً للتهرب منه ، فقررت أن تواجهه.

- ازيك **يا أمينة** ؟.

- تمام , في حاجة يا **أحمد** ؟
- عايز اتكلم معاكي.
- كلام **ايه** ؟.

بدا عليه الارتباك ثم نطق كلماته.

- أنا معجب بيكي.

التفتت **أمينة** لتذهب فوقف أمامها

- لو سمحتي اسمعيني أنا معجب بيكي ،أنا عارف إن أخلاقك وتربيتك يمنعوكِ من إنك تدخلي علاقة من النوع ده , بس أنا بحبك ،و مقصدش أي حاجة غلط، ايه ردك ؟
- أنا لازم أمشي لو سمحت ابعد

أفسح لها **أحمد** المجال ، تركت **أمينة** الجامعة ،وذهبت للمشفى لم تستطع الذهاب إلى أي مكان آخر استأذنت **أمينة الممرضة صابرين** بالسماح لها لدخول غرفة العناية ،فوافقت **صابرين** على طلبها باعتبارها من عائلة المريض دخلت **أمينة** غرفة العناية كانت تلك المرة الأولى لدخولها تلك الغرفة ، لم تقترب من مريضها إلى هذا الحد سوى الآن ،جلست على مقعد بجوار سرير المريض في هدوء , رمقته ورمقت جسده الممد على السرير دون حراك لم تستطع رؤية معالم وجهه كاملة إلى الآن فعاملته كأنه يشعر بوجودها.

- ازيك ؟ أنا **أمينة**.

قصت على مريضها كل شيء , انفعلت أثناء حديثها عاقبت نفسها على حب **أحمد** لها ، لم تسمح يوماً لقلبها أن يعشق هربت دائماً من ذاك الضعف المدعو حب حصنت قلبها بأسوار عالية ، وحب **أحمد** لها لا يثبت سوى أنها لم تستطع تحصين قلعتها جيداً . باحت لمريضها بكل شيء، ثم ودعته لتذهب لمنزلها ،كانت شاردة طوال الوقت لم تكن مرحة كليلة أمس, بدا على وجهها الغضب فسألتها **آثار** عما يغضبها ، ولكنها لم تجب ؛ فلم تلح **آثار** بالسؤال تركتها لتهدأ.

وفي الصباح زارت **أمينة** مريضها كانت تحدثه ،ثم تعود إلى منزلها اعتادت على حديثها مع ذاك المريض أصبح مريض مجهول أقرب إنسان إلى قلبها تحدثه عن كل ما يخصها دون حرج ،ليس من اليسير أن تجد من ينصت إليك حتى ،وإن كان المستمع هو مريضها الغائب عن الحياة ، فيكفى أنها تبوح له بما لم تبوح به لغيره .

. . . . . .

مرت أيام سفر أبيها سريعاً . عادت إلى منزلها بعد زيارة مريضها لن تستطيع زيارته في اليوم التالي بسبب عودة أبيها , فأبوها سيكون في رحلة العودة اليوم

التالي على متن الطائرة القادمة من إيطاليا(الرابعة عصراً)لم تكن مسرورة بعودته؛ ألفت العيش مع أمها بمفردهما ولو لمدة قصيرة . رن هاتفها من جديد برقم **أحمد** لم تجب, فبماذا تخبره ؟ ،فجاءتها رسالة هاتفية منه:

((أنا مستني ردك يا أمينة, ردي بأي إجابة ،ارحميني ،وقولي رأيك أيا كان))..

إذا كانت أرادت أن تجيب على اتصاله ،أو أن قلبها خفق بقوة حين أخبرها بإعجابه في الجامعة . أيعنى هذا أنها تشعر بشيء تجاهه ؟ وما دامت لم تعتريها تلك المشاعر ؛فلن تسمح لعقلها أن ينشغل بتلك التفاهات ، دخلت **آثار** على **أمينة** غرفتها ،كانت **أمينة** جالسة على السرير شاردة ،فجلست **آثار** بجوار **أمينة** على حافة السرير فالتفتت **أمينة** إلى **آثار**,

- ماما أنتِ عمرك حَبيتي ؟
- اه ,حَبيت مرة هو مكانش حب قوي بس حاجة شبه كده.
- ازاي ؟

اعتدلت **أمينة** في جِلستها ،والتفتت بكامل جسدها نحو **آثار**, سردت **آثار لأمينة** ما حدث منذ أكثر من سبعٍ وعشرين عاماً ,كانت تسرد ما يلوح لــ فؤادِها:

. . . . . .

"كنت فتاة رقيقة خاضعة كبقية فتيات عصري ؛أردت أن اثبت لعائلتي أنني قوية أستطيع حماية نفسي جيداً ؛ فركبت القطار المنطلق من الإسماعيلية إلى القاهرة لألحق بعائلتي التي سبقتني بيوم ، سافرنا؛ لنستقر بالقاهرة ،لم يكن إقناعهم بالسماح لي بالسفر بمفردي بالأمر الهين لكن الاختبارات النهائية بالمدرسة ساعدتني لإقناعهم بالحاق بهم بمفردي ,ادركت القطار قبل انطلاقه مباشرة ،وقفت على باب القطار أردت الشعور بمن سبقوني بالوقوف بهذا المكان ، بدء القطار في الانطلاق أسرع المسافرون لبلوغ القطار , انطلق القطار ،ورأيته من بعيد شاب تظهر الرجولة في هيئته يجري مسرعاً ليلحق بالقطار ، لم أستطع رفع عيناي عنه ،تبادلنا النظرات شعرت في نظرته بأمان لكنه لم يلحق القطارفاق القطار سرعته ،فوقف على المحطة يلهث بأنفاس متلاحقة ابتعد القطار إلى أن اختفى عن نظري؛ لتبقى منه نظرته . ندمت على صعودي للقطار مبكراً ،لو أني تأخرت في الركوب لربما اختلف قدري الآن.

نظرت **أمينة** بدهشة **لآثار**.

- حَبيتي واحد شوفتيه بيجري لثواني ! ازاي ؟

تنهدت **آثار** بحنين لاذع ثم أجابت

- اه حبيته ،لو كنت أعرف يومها إني مش هحس بكده تاني ناحية أي حد ؛كنت نطيت من القطر لو هضمن ألاقيه مستني في المحطة كنت سافرت له**(ثم قالت بصوت خفيض يقترب إلى الهمس)** كنت رجعت له حتى لو دلوقتي بس مش هلاقيه. .
- وبابا يا ماما ؟
- عجب أهلي فأقنعوني بيه كان أبوكِ متزوج ،ومطلق ، ومراته خدت ابنه ومعرفلهاش طريق ,فباين صعب على أهلي يمكن شافوه مظلوم فقالوا يجوزوني له استنيت أحبه بس محصلش.
- أتجوز واحد أحبه ،ولا اللي تختاريهولي ؟
- مش عارفة , الزمن أتغير، بس لسه الحب عيب ،والمحترمة مبتحبش فمش عارفة , أنتِ وحظك.

لم تعلم أمينة حينها أن سؤالها الأخير سيصبح محور حياتها.

. . . . . .

عاد أبوها من سفره ، استقبلته **آثار** بالمطار أما هي فلم تكن مسرورة بعودته,

فقط حنين ما حركها لترحب به حين عاد للمنزل ، لكنها لم تفعل اكتفت بمراقبته من خلال فتحة صغيرة من باب غرفتها، دخلا أبيها يحمل حقيبة ثيابه ،وهدايا من **علي لأمينة ،وآثار** ترك أبوها الحقيبة ،وجلس على أحد المقاعد ثم أردف قائلاً:

- **أمينة** فين ؟
- تقريبا نامت أصحيها ؟
- سبيها نايمة.

قالت بشوق

- **علي** عامل ايه ؟كويس ؟
- راجل الواد **علي** قلت له لو هيتجوز واحدة من هناك ، يخلفلي رجالة يشيلوا اسمى مبيجيش من خلفة البنات إلا الهم.

سمعت **أمينة** ما تفوه به أبوها ، فأغلقت باب غرفتها ،واستيقظت مبكراً ، وذهبت إلى الجامعة قبل استيقاظه ذهبت إلى الجامعة فوجدت **أحمد** أمامها...

(.....)

اصطحبت آية إلى المقهى الذى طالما تقابلنا به أنا **ومريم** أردت أن أرى طيفها لأتجرأ على إخبارها الحقيقة ،أردت إخبارها أنى لم أحبها ,لكن سعادتها أربكتني جعلت لساني لا يجرؤ على النطق, طلبت لها المثلجات لأني اعتقد أن ما تهواه **مريم** تهواه أي فتاة أخرى, حاشيت النظر لعيني **آية** وقلت:

- فيه حاجة مهمة عاوز أقولهالك.

ابتسمت بخجل يبدو أنها تنتظر مني أن أغازلها ،وأخبرها مقدار حبي لها.

- مش عارف أقول حاجة غير إني آسف.

نظرت لي بدهشة

- في ايه يا **آسر ؟**
- في إن....

قبل أن انطق رن هاتفي برقم أمي لم تكن تتصل بي إلا لأمر هام فأجبت لم يكن صوت أمي ، كان صوت امرأة غريبة.

- أنا أم محمد جارتكم , أمك جت لها غيبوبة السكر ،واحنا خدناها المستشفى.

سحبت **آية** من يدها ،وأركبتها سيارة أجرة ثم أسرعت للمشفى, كانت أمي في غرفة العناية مرت ساعات من القلق ،ورحل الجيران تباعاً ،وبقيت بمفردي أوشكت دراستي على الانتهاء ،ولن يكون أبي بجواري ذلك اليوم ،ولن يساندني يوم زفافي ،لن أستطيع خسارة أمي أيضا ؛تحسرت على عجزي ،لا أقدر على مساعدتها بشيء ؛ إلا إن أخبرني الطبيب أن حالة أمي استقرت.

. . . . . .

صرح الأطباء لأمي بالخروج من المشفى ، اهتممت برعاية أمي لأسبوعين متتاليين حين عادت كالسابق ،واستقرت صحتها ؛ استطعت فتح هاتفي المغلق منذ دخول أمي المشفى لأجد مئة وأربع وعشرين مكالمة فائتة من **آية** ،وخمسة اتصالات من **مريم** ،ورسالة صوتية فاستمعت لرسالتها:

- **(فينا من قلة الأصل يا سي آسر ،لو متصلتش بسرعة ،هينتهي عرض الكلام بينا..أبقا قول اللي عاوزه بس اتصل قولي ازيك.. سلام.. يا جدع...**

لا أفهم جرأة تلك الفتاة لا أستطيع مجاراتها, كل ما يصدر عنها غير متوقع ،اتصلت عليها انتظرت رنين الهاتف بفارغ الصبر,فقلت ما إن أجابت

- بحبك

ضحكت في عذوبة وقالت

- طاب قول ألو
- أنتِ ازاي كده يا بنت أنتِ؟

- بنت..!! كنت فين؟

- هقولك لما أشوفك أنا اتصلت علشان أقولك وحشتيني.
- مين قالك إني هوافق أشوفك(**نطقتها بدلال فأذابتني)**
- اللي جرب فراق غالي أول حد بيكلمه بعد غيبة ده أعز حد في حياته ،وأنا والله بحبك.
- وأنا متأكدة إنك بتحبني , بس شكلك مشغول روح للي وخدك ، واتصل لما تفضا.
- استني
- سلام يا سي **آسر**.

أردت إيقاظ أمي ،وأخذها لمنزل **مَريم** الذي لم أعرف عنوانه بعد ، لأتقدم للزواج منها ، حينها فقط لن ينقصني شيء.

(آثار)

حديث الأمس أعاد الأم سبعة وعشرين عاماً في عشرة هذا الزوج ،حَاولت أن تبحث عن سبب لتحمل كلِ تلك السنوات ، فلم تجد إجابة ،لا يوجد ما يثبت أن سنواتها لم تهدر هباءاً مرات الود التي جمعتها بزوجها أقل من أن تستطيع تذكرها. عاملها جيداً يوم أنجبت **علي** ، لكن سرعان ما عاد إلى طبيعته السيئة ، ويوم أنجبت **أمينة** أهملها لم ينظر لوليدته ، ولم يحملها ولو لمرة , لا يعاملها كزوجة إلا حين يطالب بحقوقه الشرعية ، تشعر في كل مرة يقترب منها أنها مومس ، بل حالها أسوء من حال المومس ؛ فالمومس يعاملها زبائنها جيداً ، أما هي فحالما ينتهي منها يدير ظهره لها ،وكأنها حشرة نامت على هذا السرير عن طريق الخطأ , لم تعد لديها القدرة على محاولة التحسين ،أو الجدال ،ولا حتى الاستماع إلى

شجاراته ،بعد سبعة وعشرين عاماً في هذا المنزل أصبحت مستنزفة ، يعاملها الجميع على أنها كل شيء إلا روح ، وكأنها ناقصة من كل شيء إلا من جسد يتحرك , لم تثر ، ولن تثور لم يعد يليق بها التمرد ، مسحت دمعتها التي ذرفت من عينها ، وخرجت من غرفتها كان زوجها قد انتهى من استحمامه ،لا تريد الاستماع إلى أي من أحاديثه اختارت ألا تراه اعتبرته جزء من فراغ , اتجهت إلى المطبخ لتحضر الغداء حتى لا يقرصه الجوع ؛ فيختلق مشكلة جديدة ,أثناء انهماكها في تقطيع البصل تبعها إلى المطبخ لامس كتفها بيده فاعترتها رجفة..

(أمينة)

وجدت **أحمد** امامها، اتجهت إليه لتخبره أنها لا تحبه ولن تحبه يوماً ، ولن تحب أي رجل آخر لكن جرأتها تلاشت حين أوشكت على الاقتراب من مكان وقوفه ، فوقفت وهو يرمقها بعينيه ، ثم أدارت وجهها ، واتجهت لخارج الجامعة وأخرجت هاتفها من حقيبتها ، وأرسلت رسالة إلى **أحمد**.

((ربنا يرزقك ببنت ناس تصونك ،وتسعدك, أما أنا فمعنديش مكان لا لحب ولا لحاجة تانية.)).....

تعلم أن كلماتها قاسية ، ولكن يجب إنهاء هذه المهزلة دون ترك أي أمال لديه, ثم ذهبت إلى المشفى سمحت لها **الممرضة صابرين** بالدخول لمريضها جلست بجوار سريره حدثته كأنه يراها أو يسمعها.

- ازيك يا ابن الناس أنت عارف عني كل حاجة ،بس معرفش عنك حاجة ،أنابعت رسالة **لأحمد** قلت له فيها إني مبحبهوش أقولك أنا هسكت خالص عايزة أي حاجة توصلني منك.. اللي هيوصلني مش كلام أنا عارفة أبعت لي أي حاجة فهمني اللي عاوزه أنا مستنية

أغمضت عينيها في صمت شديد تنتظر إن يصلها أي حديث منه, حافظت على إغلاق جفنيها لوقت ليس بالقصير، لكنها لم تستقبل شيء فأشعلت قطعة موسيقية كلاسيكية كانت قد حملتها على هاتفها الذكي، فأغمضت عينيها مرة أخرى لتحاول

استقبال أي إشارة منه فتحت عينيها لتودعه قبل الذهاب لمنزلها؛ لن تستطيع البقاء أكثر فانتابها شعور يدعوها للبقاء أكثر شعرت بالسعادة لهذا الشعور الذى انتابها

علمت أنها ليست بالزائرة الثقيلة، فستحافظ على وعدها بزيارته دائماً ، لكن يتوجب عليها التوجه لمنزلها ، لن تستطيع البقاء أكثر .

(.....)

انهيت السنة الأخيرة من دراستي ، لم يرهقني **عم أمين** في العمل ، جعل مني شريكه بسبب مهارتي بالدمج ما بين دراستي والنجارة ، فاستطعت ابتكار أشكال جديدة للأبواب ،والنوافذ ،أحدثت تجديداً في الأشكال الخشبية, استطعت التخرج من الجامعة بتقدير جيد ،**وآية** التي ساعدتني حصلت أيضاً على تقدير جيد, أما **مَريم** فحصلت على تقدير مقبول ، لا يليق بها التعليم والإجهاد يليق بها العيش اليسير لتنير ضحكتها الساحرة وجهها دائما, تفرغت للعمل **ولمَريم** أيضاً ، لكن انتهاء الدراسة أبعدها عني لم تعد حرة كالسابق تحكمها مواعيد العودة للمنزل ، فلا نمضي معاً سوى وقت قليل. حدثتها مرة عن رغبتي في التقدم لخطبتها فشردت ولم تجب ؛ فقاطعت شرودها قائلاً :

- مالك سكتي ليه ؟
- كل حاجة ،وليها وقت.

منذ تلك الإجابة التي لم أفهم مقصدها جيداً، وأنا أسعى للزواج من **مَريم** ، و أول ما أردت الانتهاء منه هو إخبار **آية** بكل شيء لأغلق تلك الصفحة ،وأكمل حياتي مع **مَريم** ، ولأجلها هي فحسب ؛فأخبرت **آية** أني انتظرها بأحد المقاهي مر الوقت رتيباً إلى إن جاءت طلبت لها عصير الليمون وتركتها تحدثني عما تشاء أردتها أن تشعر بالراحة قبل أن أخبرها ، لعل هذا يغفر لي حين تذكرني فيما بعد نظرت لها كجاني أوشك على ارتكاب جرمه واتتني الجرأة فأخبرتها كل شيء أخبرتها أني لم استطع حبها ثم ختمت وقاحتي بجملة لطالما سمعتها الفتيات من شباب العالم.

- أنتِ تستاهلي أحسن مني أنا والله ما أستهلك.

،وهي تستحق الأفضل حقاً ،لم أخبرها شيئاً عن **مَريم** ، فلن يفيدها أن تعرف أني تركتها لأجل فتاة أخرى ؛ لم تبدر عنها أي رد فعل ظلت صامتة ، فلم أستطع البقاء أكثر فغادرت المقهى ،ونظرت إليها من الخارج لم تلتفت ناحيتي ، كانت جالسة كما

هي تنظر أمامها في صمت سرعان ما تناسيت جرحي لها بعد تركها بوقت قصير ؛الآن أنا حر لا أخادع **آية** ،ولا أخون **مَريم** , جل ما أردته هو إيجاد **مَريم** لأخبرها أني سأتزوجها ، ولن أقبل أن تؤجل أو ترفض , اتصلت على رقم هاتفها كثيراً فلم تجب مرت عشرة أيام وأنا اتصل وهي لا تجيب , قلقت عليها قد يكون أصابها مكروه أو إن **آية** علمت بما بيننا فأخبرت **مَريم** ،لكن **آية** مسالمة إلى أقصى حد , ازداد قلقي على حبيبتي التي لا تجيب لا أعرف لها عنوان ، فذهبت إلى الشارع الذي لطالما تركتني عنده ، ولا تقبل بأن أخطو معها خطوة واحدة , أمضيت ساعات كل يوم وأنا أقف في ذاك الشارع أراقبه، حتى لا تخفى عن نظري نملة تمشى ؛ خشيت أن تمر دون أن أراها فرائيتها من بعيد ، يا ليتني لم أرها أو لو لم تقع عيني عليها لكان الوضع أفضل لكني رأيتها..

(أثار)

مد يديه ولامس كتفيها ؛ ففزعت وابتعدت عنه ؛ فحاول الاقتراب منها مرة أخرى فأبعدته بيدها ,ثم أمسكت السكين وأكملت تقطيع البصل وهى تنظر له بخوف كل لحظة تخشى أن يحاول الاقتراب منها مرة أخرى ، ضرب الحائط بيده بقوة وبغضب شديد قال:

- دي مبقتش عيشة

غادر المطبخ ؛ فتنفست الصعداء ثم أكملت تقطيع البصل ،فاختلطت دمعات حزنها بدمعات تقطيع البصل, أكملت تحضير الطعام لتسمع أصوات طرق على باب الشقة ثم صوت فتح الباب وغلقه ، وصوت **أمينة** قد عادت ، يبدو أنه قام بفتح الباب **لأمينة** تمنت ألا تفعل **أمينة** ما يزيد من حدة غضب أبيها ، لكن لم تدعو الله ألا يحدث ما سيحدث.

(.....)

رأيتها بصحبةِ رجلٍ آخر ، فتبعتهما من بعيد ؛ خشيت أن يكون أخيها أو أحد أقاربها فأسبب لها المشكلات، فدخلا متجر للملابس النسائية وقفت بالخارج أراقبهم من زجاج المتجر كانوا يتخيرون ملابس نسائية ، لم أجد تفسيراً يجعل فتاة تصطحب أخ أو قريب ليشتري معها ملابساً من هذا النوع . بعد أن انتهيا من الشراء خرجا من المتجر ، وهو يحمل مجموعة من الأكياس ، وركبا سيارة فارهة من الواضح أنها سيارته ، فأوقفت سيارة أجرة ، وركبتها طلبت من السائق اللحاق بهما ، بعد مسافة نزلا من السيارة تحدثا لدقائق كانت تنظر له بنفس الابتسامة الساحرة ، ثم عانقها بشوق
أعلم ما يدور في عقل رجل حين يعانق امرأةً بهذا الشكل تأكدت أنه لن يكون سوى عشيق . تركت السيارة ، واتجهت إليهما ، وقبل لحاق بهما كانا قد ركبا السيارة وانطلقا بها وإلى أن استطعت إيقاف سيارة أجرة كانت السيارة قد اختفت عن نظري ، تاهت في زحام شوارع القاهرة, عدت إلى منزلي دخلت غرفتي كنت أحترق من الداخل ، احترقت رجولتي بما رأيته منذ قليل , اتصلت عليها مرات كثيرة متتابعة ولكنها لم تجب ، وكيف تجيب الآن لعلها تنعم بصحبته, أسرعت إلى الشارع الذى كنت أوصلها إليه انتظرت أن تعود لن أبالى بأي شيء, انتظرتها إلى قبيل الفجر ، ولم تمر فعدت إلى منزلي فجرت غضبي في أمي حين سألتني عن سبب عودتي في تلك الساعة المتأخرة , انهيت ثورتي لكن لم تنتهي المحرقة.

كانت المكالمة الثالثة والعشرون بعد المائة لتجيب تلك المرة جاءني صوتها هادئ:

- كل دي مكالمات **يا آسر** في ايه ؟

أجبت بجل ما بداخلي من غضب

- مين اللي كان حاضنك في الشارع يا مَريم ؟

صمتت لثواني ثم أجابت بنفس الهدوء

- ده خطيبي هنتجوز بعد أسبوع زي النهارده.

لم استمع لباقي ما تفوهت به أغلقت الهاتف ، وجلست في مكاني غير مدرك ما يحدث هل ما سمعته حقيقة لعلها خدعة أكانت **مَريم** لعوب إلى هذا الحد؟ خرجت مندفع لأغادر المنزل ؛ فأوقفتني أمي سألتني بابتسامة :

- رايح فين **يا آسر** ؟

نظرت لها واقتربت منها عانقتها باكياً كما كنت أفعل حين ارتكب خطئاً في صغري بكيت طويلاً إلى أن هدأت قليلا ,فأمسكت هاتفي نظرت للرسالة التي لم أرسلها منذ سنوات منتظراً أن أتأكد من حبها لي ، لكنها لم تحبني كما قالت سابقا عن نفسها خائنة حقيرة (مليانة قرف) لكنها أسوأ بل أسوأ حالاً من البغي ، رخيصة باعت لي الحب ، وباعت لرجل آخر عناقها له قد يكون ما جمعهما أكبر ليتزوجها , لعل رجال **مَريم** أعدادهم أكثر مني ،ومن هذا الخطيب الغافل ،وأنا الأحمق الأكبر كيف لم أفسر يوماً غموضها الدائم ؟. رأيتها مختلفة عن بنات حواء فكانت أسوأهم خائنه جميعهن يستطعن التضحية بأي شيء مقابل ما يردنه , جميعهن **مَريم** إن أتيحت لهن الفرصة , أصاب قلبي داء لم أعرفه من قبل أأمرض قلبي الحب فشخت مبكراً لما أصاب فؤادي؟ مر اسبوع قاسٍ مذل أذلني الألم تعذبني عقارب الساعة ؛لتعلن تجاوز الوقت الساعة الثانية عشر ليلًا ليخبرني أحد أصدقائي أن حفل الزفاف قد انتهى تخيلت ما قد تفعل الآن، لعلهم في غرفة النوم يحاول مساعدتها في خلع ثوبها الأبيض ثم يجذبها إليه لن تمانع, لم أستطع تخيل أكثر أسرعت إلى الشارع مهرولاً جريت إلى أن اصبحت قدمي لا تستطيع حملي ؛ فجلست على الرصيف الخالي إلا من عدد قليل من المارة ليلاً في مدينتي التي لا تنام

لم أهتم بنظرات المارة ، وفضولهم لمعرفة سبب حالتي المزرية , لم أجرؤ على مصافحتها لأحافظ على طهارة حبنا ؛ لأراها بعد سنوات من انتهاك قلبي وعقلي في أحضان رجل آخر ؛ لينعم هو بما صنته لسنوات , لكن الأمر لم ينتهى بعد..

(أمينة)

انتهت اختبارات آخر العام بالأمس ،ولن يسمح لها بمغادرة المنزل طوال الإجازة الصيفية ، ستحرم من زيارة مريضها لكنها لن تستطيع التوقف عن زيارته ،هو أقرب البشر إلى قلبها تحتاج لقاءه هناك رابط خفى يربط بينها وبينه ,لا تعرف اسمه ،ولا أي مما يخصه , لكنها تعرف رقم غرفته ، تعرف نومته التي لم يفارقها ,تعرف أصابعه الممددة ، وبداخل كفه انبوب من المحاليل ليمده بالدواء ، وما يجعله يحتمل العيش أكثر تمنت لو أنه يراها بأحلامه, أو ينصت لحديثها إليه, لن تستطيع التوقف قبل أن تسمع صوته ، و ترى ملامحه بدون تلك الأجهزة.

عادت منزلها ، وقد وجدت الحل لرؤية مريضها دائماً . حين فتح والدها الباب لها كان عابس الوجه اعتادت على تلك النظرة , ساعدت **آثار** في تحضير المائدة ، وأعدت لأبيها كوب الشاي حتى تحاول إخباره ما قررت ، وقفت أمامه سيطر الخوف عليها ثم استجمعت شجاعتها ونطقت:

- بابا.

نظر لها ؛ فأكملت حديثها.

- أنا... أنا عاوزة أشتغل.

نظر لها بملامح غير مفسرة ثم أردف ،وهو يشاهد التلفاز.

- معنديش بنات تشتغل.
- بس انا عاوزة أشتغل.

ضحك ساخراً منها كأنه لا يراها ، و أنها لا تعي ما تقول.

- أنا محتاجة اشتغل يا بابا.

لم تلقى كلماتها الرد كان الرد صفعة على وجهها أوقعتها أرضاً , ثم صاح

- لما أبقا أموت أو معرفش أأكلك أبقي اشتغلي يا آنسة.

ساعدت آثار أمينة على النهوض لم تبك أمينة فقط نظرت لأبيها بجحود ، ثم دخلت غرفتها

.

تركتها أثار وعادت لزوجها كان بغرفة النوم يبدل ثيابه.

- ما تتكلم معها عادى لو مرة زي أي أب وبنته
- دي عيلة مش فاهمة حاجة دلعك مارعها سبيني أربيها.
- بنتي متربية.
- ما اهو باين , وبعدين أكسر للبنت ضلع
- مش كدة بالهداوة.

نظر لها ساخراً ، وأكمل ارتداء قميصه ، وهندم هيئته ، ثم ألتفت إلى **آثار** بحزم

- مفيش خروج **لأمينة** لو خرجت متلومنيش على حاجة.

نطق بوعيده ثم غادر المنزل مغلقاً الباب بقوة ؛مما بث الخوف في قلب **آثار** لكن ما يبث الخوف حقاً لم يحدث بعد.

(.....)

لا يحمل الحب السعادة يحمل الألآم ، يلهو بقلوبنا ثم يرحل أبي أيضاً لم يختلف عني ، ولاعن باقي المعذبين في الأرض بداء لعين يدعى الحب .منذ سنوات كنت صغير لا أذكر عمرى ذلك الحين ، أذكر فحسب مرض أبي الشديد لدرجة أنه كان يتمتم بكلمات غير مفهومة ، لكن تلك الليلة تحدث بكلمات عن قطار ،وفتاة ،ونظرة ،وشيء لم يلحقه .لم أستطع بعقلي الصغير أن أفسر تلك القصة ؛ فانتظرت سنوات لكني لم أنسَ تلك الكلمات حين بلغت الحادي عشر عاماً، حانت الفرصة فسئلت أبي عن سبب تمتمة بتلك الكلمات كنا جالسون نتسامر ليلاً دائماً كنا نكررها ، كنا صديقين كان صديقي الأقرب ابتسم ،وسألني :

- أمك سمعت هي كمان ؟

فهززت رأسي نافياً فابتسم ، و بدأ سرد قصته أخبرني أنه كان شاب في مقتبل العمر أضطر السفر للإسماعيلية من أجل عمله , كانت زيارته الأولى لتلك المدينة سعد بذلك السفر ،فأتم عمله ،وانتهت سفريته لكنه تأخر قليلاً على موعد القطار المتجه للقاهرة كان القطار تحرك أسرع ليلحق به ، جرى سريعاً، فوقعت عيناه على فتاة لم تكن أجمل من وقعت عليها عيناه ، لكن تلك الثواني السريعة قبيل عدم قدرته على اللحاق بالقطار تبادلا فيها النظرات فحملت نظرتها القصيرة دفء غريب اجتاح قلبه من تلك النظرة التي رحلت مع رحيل القطار السريع ، تمنى أن يراها لكن لم يرها مرة أخرى ، بحث مراراً عن بديل لدفء نظرتها السريعة؛ فخاب أمله ، أَحب أمي ،وتزوجها لكنه لازال يذكر فتاة القطار أرهقه حب فتاة مرت لثواني ؛فبت قتيلاً أنا الأخر لكني قتلت لسنوات , أخبرني الكثير عن مرارة الحب فتمنيت ألا أقع به، لكني شربت كأس لم ينتهي ، ولن ينتهى من مرارة الحب

. . . . . .

أتى اتصال **آية** غفلة ، فبعثرني ،لم أفهم سبب اتصالها فظننت أنها علمت بأمر **مَريم** فأرادت السخرية مني لكن خاب ظني ما إن رددت على اتصالها

- ازيك ؟
- الحمد لله.

بكت كأغلب محادثتنا دائماً ما تبكي ، ضعيفة لدرجة مزرية تجعلك تشفق عليها

- أنت سبتني ليه ؟عايزة أعرف.
- علشان مستاهلكيش انا ضحكت عليكي. ابعدي عني **يا آية**.

- أنا عملت لك ايه لده كله ؟.
- مشكلتك إنك مبتعمليش أنا اللي عملت , عايزة تعرفي هاقبلك ،وأقولك كل حاجة يمكن تفهمي.

(أمينة)

رفضت **أثار** السماح **لأمينة** بالخروج من المنزل ، ثم سحبت **أمينة** من يدها إلى غرفتها وأدخلتها بقوة ؛قاومت أمينة بدايةً ثم استسلمت لمنع **آثار** لها من مغادرة المنزل فجلست **أمينة** على السرير ،وضمت قدميها إلى صدرها وبدأت دموعها المقهورة في السيل. دائماً كانت تلك الجلسة الأفضل بالنسبة لها، لتبدأ في الإفصاح عن حزنها جلست **آثار** نظرت لأبنتها التي لم تنجبها لتراها بتلك الحال من التعاسة ، نظرت **أمينة لآثار** بدموعها العاجزة:

- عاوزة أخرج أنا تعبت.
- لو عليا أخرجك بس أبوكِ أنتِ عرفاه كويس.

فصاحت **أمينة** بغضب

- أنتِ عايشة معاه ليه ؟ مسبتهوش ليه ؟ أنا برتاح من غيره ، وأنتِ بترتاحي .

جلست **آثار** بجوار **أمينة** فتحولت ملامحها من امرأة حسناء لوجه كئيب التهمه الكبر ، والحزن فشاخ مبكراً.

- مستنياه يتغير ، أو أي حاجة تتغير ؛ بس كل حاجة زي ماهي, لاء كل حاجة أوحش**(تبدلت نبرتها من الشكاء إلى العتاب ،والحنق)** وهو نفسه أوحش ،وأنا كمان أوحش ، وأوجع. . زهقت.

بدأت دمعاتها تتساقط

- والله زهقت.

استمرا بكائهما طويلاً ، دون أن يبوح أي منهما بما يؤلمه ؛ أجلا البوح لوقت آخر .

(.....)

تركت **لآية** اختيار مكان لقائنا هذه المرة ، حتى تكون قد اختارت شيئاً في حياتها حين جلست أمامها تذكرت **مَريم** ، تذكرت حديثها , ابتسامتها أبغض أني لازلت أذكرها بين الحين والآخر . لما لم تهجرني ذكراها إلى الآن ؟ طيفها اللعين يحولني لشخص آخر . انتبهت من شرودي ، لأجد **آية** ترمقني بدهشة, ثم أردفت.

- عامل ايه ؟
- بخير الحمد لله ،وأنتِ ؟

تأملتها , كانت مضطربة أعلم أنها جاءت لتعرف سبب هجري لها ، ولكنها في الحقيقة لم تأتي لهذا السبب ، جاءت لتجد سبيلاً لتعيدني إليها حتى تستمر في حبي ؛ لم أمهلها ليتطور حديثنا إلى أن تتوسل ألا أتركها ، لن أتركها تتحول إلى ذليلة لي.

- عارفة سبتك ليه ؟

هزت رأسها بوهن ثم قالت

- لو كنت أعرف مكنتش سئلتك ؟

نظرت لها مبتسماً، أردت اغضابها.

- مكنتش بحبك , محبتكيش بس حبيت واحدة تانية من ثلاث سنين كاملين ..ومقولتلكيش.

تبدلت ملامحها إلى غضب فرأيتها غاضبة للمرة الأولى

- ازاى **يا آسر ؟**
- ازاى ! زى ماكنتي بتستنيني أقولك بحبك , كنت أنا بقولها لواحدة تانية طول الوقت ، وكنت أنا اللي مستنيها تقولهالي, كنت بتبسط ، وأنا بكلمها ؛ بتحول مودي في لحظة ,كانت بتمرمطني وبقبل نفس اللي كنتي بتقبليه مني ....
- كنت بحبها **يا آية**.

استمعت بضيق حاولت إخفاءه ،خشيت أن تبكي ، وانتظرت ذلك حتى أتركها فى شدة ضعفها لتبغضني سريعاً ؛ ولكنها ضحكت بصوت عالٍ كأنني قصصت لها خبرا مضحكاً , توقفت عن ضحكها بعين دامعة من شدة الضحك ؛ فأغضبني ضحكها وأردت استفزازها.

- مكنتش عايز أخدعك اتمنيت تسبيني ، بس من يوم ما عرفتك ، وأنتي أضعف من إنك تاخدي بالك إني لعبت بيكي.

ضحكت مرة أخرى ، ثم غادرت المكان ، وهي مستمرة بالضحك . بقيت كما أنا لم دون استيعابً لتصرفها ، لكني قبلت إهانتها لي بهذا الشكل ، ولكن عدت من هذا اللقاء على يقين أن بنات حواء جميعهن **مَريم** ،ولا يمتون للوفاء بصلة ، يتوهمن بأنهن يسيرن على طريق الحب ، لكنهن لا يعرفن طريقه بعد فيضللن ونقتفي نحن ما تبقى منهن من طيف ؛ فيذيبنا رحيلهم لنصبح ذوي أشباه قلوب , حاولت تناسى كل ما ازعجني. بادرت لأهنأ بحياتي بعيداً عن **مَريم** و **آية** وشتى بنات جنسهما ,تفاجأت بأمي لرغبتها بالسفر إلى الإسكندرية لزيارة عمي لا أعرف ما سبب رغبتها في السفر للإسكندرية الآن ؛ وهي التي رفضت دائماً السفر بعد موت أبي , لم أحاول منعها ؛ فلا يحق لي ، ولكني رفضت السفر معها ؛ أردت التخلص مما أصابني أثناء سفرها ؛ لتعود ، وقد شُفيت. طرق بابي بعد مضي ثلاث ليالٍ من رحيل أمي ؛ لأجد زائرة تحمل لي مصيراً آخر دون أن تدرى أو أدري أنا...

(آثار)

انتهت من أعمال المطبخ ، وأشعلت التلفاز لتهنئ بالراحة قليلاً قبل عودة زوجها ,أرادت التخفيف عن **أمينة** ، وعن نفسها ؛ فهيئت المنزل لجلسة سمر ما بين أم وابنتها , دخلت غرفة أمينة ، وقد قررت ألا تقبل بأعذار **أمينة** ، ستجبرها على إتمام تلك الجلسة ؛ لكنها لم تجد **أمينة** ، وجدت ثياب المنزل خاصة **أمينة** ملقاه على السرير ، بحثت عنها كالمخبولة في كل ركن بالمنزل دون جدوى لم تجدها . جلست أمام التلفاز تنظر إليه دون أن تشاهد ما يعرض شعرت بأن قلبها قد خلع من مكانه ، خشيت أن تكون **أمينة** فعلت كأخيها ، ورحلت بلا عودة لن تحتمل أن يكون هذا ما حدث.

(**أمينة**)

دخلت **أمينة** غرفة مريضها، اشتاقت لزيارته؛ فمنذ ما يقرب من اسبوعين لم تطأ قدماها غرفته , تأملت ملامحه ، وسكونه, و وجهه الذى لم تعتريه أي تعبيرات أو إيماءات منذ شهور . جلست بجواره و أخرجت من حقيبتها مشط ، وقامت بتمشيط شعره استمتعت بمحاولتها الاهتمام بهيئته ، لعله حين يفيق يسر لرؤية هندمته تحدثت بما أرادت نطقه فقط.

- أنا **أمينة** لتكون نسيتني ؛ بقالي اسبوعين مزورتكش , أنت ممكن تكون مش شايفني ، ولا سامعني بس أنا مبسوطة وأنا شايفاك ، وأنا سامعة صوت نبضك.. مكنش عندى حاجة أعملها قبل كدة(**تنهدت ثم أكملت)** مش عارفة هزورك تاني امته بس أكيد قريب.

تأملته طويلاً بابتسامة ممتزجة بشوق ، شيء ما بدأ يتحرك بداخلها.

(.. . . . .)

كانت **آية** الطارقة لبابي ، لم أجد سبب لزيارتها منزلي ، ومن أين جاءت بعنواني لكن لا شيء يحيل ما بين امرأة وبين ما تريده . أردت متابعة الجزء الجديد من تلك المسرحية الهزلية لتبدأ حوارها بجملة شهيرة:

- أنا عاوزة أتكلم معاك.

فسمحت لها بالدخول ، لكن الزيارة المفاجأة ، جعلتني أغفل أن أمي ليست بالداخل دخلت باستحياء، أشرت لها أن تجلس ، فجلست على الأريكة ، تذكرت وأنا أعد لها الشاي بالمطبخ أن أمي ليست بالمنزل ، ولكن فتاة بتلك الجراءة لتأتي إلى منزلي لن يزعجها غياب أمي عن المنزل , أحضرت كوب الشاي ، ووضعته

أمامها , ثم جلست على مقعد يبتعد عن الأريكة التي تجلس عليها بمسافة كافية كانت خجولة صامتة ، ثم نطقت بارتباك:

- أنت ليه بتكدب عليا ؟

لم أعرف مقصدها لأني لم أكذب في أي مما أخبرتها إياه سابقاً فنظرت لها غير مبالٍ أريد إنهاء تلك اللعبة سريعاً

- أنا كدبت في ايه؟
- قولت إنك حبيت غيري ومحبتنيش, هو أنا بني آدمة وحشة لدرجة إنك كدبت كدبة زي دي علشان تبعدني عنك ؟

أضحكتني بشدة كلماتها تحاول إثبات أنها الضحية ، تتصنع السذاجة لتثبت أني الجاني ، لكن ضحكي أشعرها بالمهانة ، فوقفت أمامي لأراها للمرة الأولى بهذا الشكل ؛ صرخت في وجهي.

- أنت راجل قوي كده يعني ,ولما أنت راجل ما تقولي السبب.

وقفت أمامها ، وأجبتها بغضب أنا الآخر

- انا قولت الحقيقة , أفهمي بقا.

ضربتني بيدها الضعيفة في كتفي من فرط غضبها ، فأمسكت يدها محاولاً منعها من ضربي ، فتملك مني شيطاني , فاقتربت منها أكثر جذبتها إلي بقوة ، وحاولت تقبيلها عنوة , لم تستطع مقاومتي ، فتماديت , وأعادني إلى رشدي صوتها:

- حرام عليك **يا آسر** بالله عليك سيبني.

شعرت بما أرتكبه من فوحش ، فأطحتها بعيداً ، كانت تبكي نظرت لي بذعر فخجلت من نفسى ، وضعت غطاء رأسها ؛ كنت خلعته ، وعدلت ثيابها ، وهى تهرول إلى خارج الشقة ؛ كلما تذكرت نظراتها بخوف إلى هذا الحد أرانى مجرد حيوان نزعت من قلبه الرحمة ، ماذا لو لم توقفني كلماتها ؟ لم أختلف عن **مَريم** خانتني فأقدمت على خيانة فتاة ائتمنتني لحد دخولها بيتي لتخرج منه مذعورة

مرت الأيام ثقيلة ، لعشر أيام أهاتفها فلا تجيب ؛ يحق لها ألا تغفر لي، فلم أستطع أنا المغفرة لنفسي ، فقررت معاقبتي بما استحق فأخبرت أمي أني أريد الزواج فرحت أمي لهذا الخبر ، لم أضيع الوقت لينتهي اليوم التالي بي أقف بصحبة أمي أمام منزل **آية عبد الرحمن**.

(أمينة)

عادت **أمينة** إلى منزلها لتجد **آثار** جالسة ، وقد أرهقها القلق ما إن لمحت **أمينة** أسرعت إليها بتلهف عانقتها بشدة ، فظنت **أمينة** أن مكروهاً قد وقع ، فنظرت **لآثار** بقلق

- في ايه يا ماما, مالك ؟
- على وحشني ، دا حتى مقلش إنه مهاجر علشان أودعه.

لامست **أمينة** كتف **آثار** برفق:

- بكره يرجع ، وبعدين يا ست الكل أنا جنبك أهوه.

بكت **آثار** فضمتها **أمينة** إليها أكثر ، ثم حاولت التخفيف عن أمها:

- ايه الدموع دي كلها , دي تحويشة العمر ولا ايه؟

قالت **آثار** بصوت متهدج:

- خفت تكوني مشيتي أنتِ كمان زي **علي**
- كنت محتاجة أخرج ، و خرجت مش هخرج تاني غير بعد اذنك.

مسحت **أمينة** دمعات **آثار** , ثم سحبتها ، وقالت وهي تجلسها على الأريكة :

- اجلسي أيتها الملكة.

فابتسمت **آثار** ، وجلست **أمينة** بجوارها . سمعت مراراً أن الأم وابنتها جسدان لروح واحدة ، لكنها تقر بذلك الآن حزنت لحزن **آثار** تمنت أن يعود أخاها لتطمئن **آثار** , أو أن تجني أموالاً كثيرة ؛ فتستطيع السفر لزيارته . مرت الليلة هادئة، انتظرت **أمينة** مغادرة أبيها المنزل ، ثم ألحت على **آثار** لتسمح لها بالنزول من المنزل ؛فوافقت بعد إلحاح شديد أسرعت **أمينة** إلى مريضها, فأوقفتها **الممرضة صابرين** قبيل دخولها غرفة مريضها .

- ازيك؟
- أنا بخير.
- أنتِ قلتيلي تقربي ايه للمريض ؟

ظهر على **أمينة** التفكير ثم أجابت

- بنت خالته

ابتسمت **صابرين** بلؤم كأنها كشفت ادعاء **أمينة** القرابة

- وأمك مبتزرهوش ليه ؟
- ماما مسافرة ؛ فباجي أنا ، وأطمنها
- الدكاترة، هيشيلوا الأجهزة عن المريض ، ولو ليه عمر هيعيش

(انفعلت أمينة)

- يعنى ايه مش فاهمة ، هو مش بني آدم ، ولو مات هيبقى في رقبة مين ؟ هي مستشفى ، ولا جزارة.

ابتسمت **صابرين** بهدوء ،وقالت :

- دي مستشفى حكومي ،وهو بقاله شهور كده ، وفي طابور عيانين مستنين سرير يتعالجوا عليه وأنا دوري أنفذ وبس, أنا عبدة مأمورة
- طب ايه الحل ؟
- ادعي يدولوا وقت ، و ادعيله يفوق.

أخرجت **أمينة** من حقيبتها ورقة ، وقلم ، وكتبت رقمها في الورقة ؛ ثم أعطت الورقة **للممرضة صابرين** ، وقالت راجية:

- بالله عليكِ ، لو قرروا يشيلوا الأجهزة عنه بلغيني.

ابتسمت **صابرين** بحنو.

- أنا عبد مأمور والله , بس لو حصل حاجة هكلمك وأقولك حاضر

تركت **صابرين أمينة** ، فوقفت **أمينة** تنظر لمريضها عبر الزجاج ، لن تستطيع دخول غرفته بتلك الحالة تشعر أنه يراها أو يعلم ما تشعر به , تمنت من الله أن يفيق لن تحتمل موته ، فهو يكفيها عن باقي البشر , وقفت كماهي تنظر له إلى أن هدأت قليلاً ، فدخلت غرفته و جلست بجواره ، لم ترتب كلماتها تركتها تخرج كيفما أرادت .

- وأنا صغيرة كانت فيه وردة حلوة فيه بلكونة الجيران , كنت بكلمها بقف أبص عليها لساعات , كنت بكلمها بعقلي كانت بتسمعني مبتردش بس بتسمعني, عدا الوقت وخدت على إني احكيلها هي وبس ؛ أصل أنا مكنتش بلعب بابا مبيسبنيش ألعب ، والعيال بتعرف بعض في اللعب ؛ فمكنش ليا صحاب إلا الوردة دي كانت صحبتي لحد ماجه يوم كنت واقفة بصه على وردتي فخرج ابن الجيران كان رخم أوي قطعها ورماها , كانت عنده حتة وردة ، بس عندي كانت كل حاجة في شكل وردة لما موتها سكت ، وفضلت ساكتة سنين لحد ما جيت المستشفى صدفة لاقيتك هنا صدفة برده. أصل أنت شبه وردتي ،انتوا الاتنين بتسمعوني ، وانتوا الاتنين

ضعفا بس هي كانت وردة ، لكن أنت مش ضعيف**(تحدثت بحماس ممتزج بحزنها)** فوق ، حرك ايدك, اضحك ,ازعل, اعمل أي حاجة.

انهت حديثها لتجد دموعها قد فرت من عينيها .

. . . . . .

عادت منزلها مثقله بحزن دفين كأن سكين شق صدرها ،ووضع بداخله حبات حزن نمت بداخل قلبها دون السماح لهذا الجرح بالنزف.. كان والدها في انتظارها يحمل لها مساراً آخر.....

بقايا

تنتهى القصص ،والوقت ينفذ ؛فنتحول إلى مجرد بقايا أهملناها
فاستنزفتنا

(الممرضة صابرين)

كانت المشفى بالسابق مكان لراحة المرضى ، ونحن ندعى ملائكة الرحمة ، ولكني بت لا أرى أي رحمة داخلنا , نعاني من راتب لا يكفي لشيء ، ومشاكل منزلية تجعلنا لا نحتمل المرضى ، تحولت كلَ مظاهر الحياة في مصر وصحة مرضاها إلى أرقام من المال , حين تملك ما يفيض عن احتياجاتك؛ فيحق لك معاملة الناس بعنف ، أما إذا لم تملك ما يكفيك فيحق لك تعنيف البشر من سوء ما تعيشه , أصبحت مدينتنا متاهة التعساء في رحلة العيش , تحولت حياتنا في المشفى إلى أرقام لا نبالي بأحد , يشغلنا كم نجمع من المال ،ومرضانا مجرد أرقام لحالات, مجرد أسرة تحمل مرضى قد يشفون وقد يتوفون ، فموت المرضى عبارة عن روتين دائم يعلن فراغ السرير لحالة قادمة , لكن كل شيء قد أختلف في ليلة لم تكن عادية منذ ثلاث سنوات . كان جاري شخص هادئ صاحب طقوس صارمة, لا يأتي الليل إلا وأنغام صوت أم كلثوم تعلو من شرفته طوال الليل, رجل في الأربعينيات وحيد لحد أنه أكتفى بنفسه عن باقي البشر كان غامضاً بالنسبة لي ,عدت من عملي يومها فسمعت صوت يشبه شيء ضخم رمي فى شقة جاري ؛ لم أهتم لكن امرأة وحيدة مثلي تراقب جل ما حولها بتمعن دون قصد؛ فأنغام أم كلثوم لم تعلو ؛ هذا ما اقلقني فذهبت إلى بابه ، وطرقته لم يجب طرقت مراراً دون جدوى إلا أن طرقي جذب جيراني لمعرفة ما يحدث ، فاستطاعوا كسر الباب ؛ دخلنا ، فكان جارى ملقى على الأرض ، بجواره كرسي يبدو أنه كان يحمله حين سقط فاقداً الوعى ؛أسرعنا به إلى المشفى التي أعمل بها ، وبفضل عملي استطعت ادخاله المشفى ، لو لم أكن أنا من أدخلته ، لكانت المشفى رفضت معالجته متحججة بأن الأسرة ممتلئة , ادخلته ،ووضع بغرفة الملاحظة ، وتم فحصة ، وإسعافه . جاء التشخيص بأنه مريض بداء قصور في عضلة القلب , كنت ادخل من الحين للآخر لأطمئن عليه وأقوم بتقديم الخدمة الطبية له كأي مريض أخر، لكني كنت أزيد بضع أسئلة تقليدية عن حالة ثم أتركه لأكمل عملي .

أتى دوري في المناوبة ليلاً فطلب التمريض ؛ فذهبت إليه, كان مهموماً مازحته ، ثم جلست بجواره على السرير لكنه كان ينظر للجهة الأخرى، فاقتربت من جهة نظره، لم يكن ينظر لشيء كان يبكي فأدار ظهره حتى لا أرى دمعاته ؛ حاولت التخفيف عنه:

- بتعيط على ايه ؟حالتك بتتحسن ،وهتخرج.

فأجابني بصوت مختنق دون أن ينظر لي:

- أنا عارف إني عندي القلب ومكنتش عايز أتعالج , كنت عايز أخلص.

استمعت لكلماته ، فالتفت لي أمسكني من ذراعي فانفعلت كدت أوبخه ،لكن عيناه ،وصوته كانا حزينين حزن ألجم لساني الطويل ، ومنعني من النطق.

- مين قالك تجبيني هنا ؟ أنتوا ليه بتسيبوا اللي عايزين يعيشوا ، وتهتموا باللي مش عاوزين.
- علشان تعيش.
- ليه ؟
- تعمل حاجات حلوة, تتبسط, تعيش

لم يجب ابتسم ثم بكى بشدة لم أحاول منعه أو تهدئته ؛تعلمت أن أقل حقوق البشر هي أن يبكوا , نظرت له لكن لم يرفع عينيه تجاهي . شاب في الأربعين يبكي بهذا الشكل ! لم أرى بحياتي رجال يبكون ، كل من عرفتهم يتسببون ببكاء الآخرين ليس إلا، لكنه بكى ، وانتحب ،حين شعرت أنه أنهى بكاءه خرجت من غرفته دون أن انظر إليه, رأيت الكثير من أجساد البشر الضعفاء ، ورأيت دمعاتهم ، وألآمهم أعلم كيف تؤلمهم رؤيتي ذلك ؛ فلن أكلفه خجل رؤيتي لحظات ضعفه أغلقت الباب بهدوء ، أعرف أنه شعر بخروجي من الغرفة ولم يلتفت لي , انتابني عذاب الضمير من أجل رؤيته بهذا الشكل لابد أن رؤيتي له زادت من حزنه ؛ لم أمر على غرفته لأيام تلت تلك الليلة ، تركته يفرغ ما بداخله من حزن وأسى ؛ حتى لا يوجعه ضعفه أمامي يكفيه وجع جسده وعجز روحه , لكني زرته بعد تلك الأيام ,ذهبت للمشفى باكراً قليلاً , دخلت غرفته كان نائماً ، وضعت بجواره مذياع صغير ابتعته من أجله ، وقبل انتهاء عملي مررت من أمام غرفته سمعت صوت يشبه تغيير محطات الراديو ؛ فعلمت أنه قبل الهدية ، ونالت إعجابه في اليوم التالي حين دخلت غرفته لأعطيه دوائه, وجدته ينظر من نافذة غرفته ، وصوت الست يعلو من مذياعه, نظر لي بامتنان ،وابتسامة واسعة, أعرف تلك النظرة نظرة حبَيب خبئ ما بداخله؛ ففضحته عيناه , لم يرفع عينيه عني, لو أننا في القرن الماضي ، وزي العمل فستان أبيض قصير محكم عند الخصر ،وشعر مرتب لقلت أنه أعجب بزيي لكن ثيابنا الآن أقل ما يقال عنها أنها رديئة.

سألني:

- ايه أخبارك ؟

اقتربت منه لأناوله دوائه وقلت:

- الحمد لله بخير.

بسألك ايه أخبارك ؟.

- أحسن منك.

كنت أمزح ، ولكنه صمت . أغبية لحد أن أقول لمريض أني أحسن حالاً منه ؟ لابد أنني أحسن حالاً؛ فصحتي أفضل , لكنه لم يغير معاملته معي ابتسم في وجهي بحب دائما يهرب من وسط أفراحه وضحكاته لحزن يجتاح وجهه ،فيصنع مزيج من الحزن والفرح يضيف إلى وجهه وقار يجعلني أخشى محادثته بحرية وأنا التي لا تخشى أحد . لأدخل عليه فأجده يبكي بأنين تألمت لألمه فالنساء تبكيها أقل الأسباب, أما الرجال فبكائهم يكون لعجز شديد , رأيت دموعه لم أستطع عدم التدخل فسألته

- أنت كويس ؟

ضمني إلى صدره ،وبكى وانتحب بشدة ؛لم أستطع محاولة سحب نفسي من بين يديه احترمت رغبته في ضمي ؛ كان بكاءه قاسٍ ذكرني ببقايا الماضي العالق بروحي , أجهدني حزنه كما أجهدني الزمن كان كطفل صغير يحتضن أمه ؛فأردت أن أوقف بكاءه.

- كفاية علشان قلبك.
- قلبي مليان ، اللى اكتر من المرض . مكسور منك.

سحبت جسدي منه ،ونظرت له بدهشة.

- أنا ؟.!
- أنا بحبك بقالي سنين من يوم ما سكنتي جنبي . تعبتيني بأنك مش شيفاني , تعبني اللي فات ،وقتلني قلبك اللي مشفنيش

. . . . . .

أخرجها من ذكرياتها صوت زميلتها **هدى** التي تجلس أمامها في الغرفة الخاصة بالممرضات

- بقولك الواد قال **لنورا** اللي في المستشفى اللي جنبنا: عايزاني اتجوزك تشيلي معايا في الشقة ،والعفش ، وكله . شكله عايز يخلع من البنت مقلهاش الكلام ده من عشر سنين أول ما عرفها ليه ؟.

هزت **صابرين** رأسها بإماءة ، لتوضح **لهدى** أنها سمعتها ، ثم قامت لتزور الغرفة التي لم تطأها قدماها من سنوات.

(أمينة)

نحلم جميعاً أن تصبح حياتنا رواية مثيرة . متناسين أن الجانب الشيق في الروايات غالباً ما يكون الجانب التعيس ، لكننا نبحث عن السعادة ليس إلا متغافلين الأقدار الأخرى ، لكن **أمينة** أيقنت أن حياتها أصبحت رواية بائسة منذ أن فتح أبيها الباب كان غاضباً كأنه لم يغضب أبداً ، ما إن وطئت قدماه المنزل صفعها وسحبها بعنف إلى غرفتها ألقاها داخل الغرفة وأغلق الباب بالمفتاح . حاولت **آثار** أن تمنعه من فعل هذا لكن دون جدوى, لم تر **أمينة** عقاباً كعقاب والدها دائماً ما كانت غرفتها ملجأها الأول للهرب من هذا العالم السيئ لكن عقابها الحقيقي الذي لم يدركه والدها هو انشغالها بمريضها الذي قد لا تستطيع توديعه إذا رفعت عنه الأجهزة التي تمنحه الحياة.

تُفتح الغرفة حين عودة الأب من العمل , طوال وجوده بالمنزل يحق **لأمينة** التنقل بالمنزل كيفما شاءت ، وحين يخرج من المنزل تكون حبيسة غرفتها, أسوأ ما كانت تخشاه هو أن تظل حبيسة تلك الغرفة ، لنهاية الإجازة الصيفية , تتمنى أن تتصل **صابرين** لتعرف منها حال مريضها ، لكن اتصال **صابرين** لا يعني سوى أنه قد اختير له الموت.

بينما هي منشغلة بوضعها ، وحال مريضها دخل والدها غرفتها دون استئذان ،وأمسك هاتفها من يدها ،والشر يتطاير من عينيه , فحص كلَ ما بداخله , لم تكن أمينة مسحت رسائل **أحمد** ، ورسالتها إليه التي أخبرته فيها أنها لا تستطيع أن تحبه أو أن تحب أي شخص آخر كانت قد أعجبتها تلك المشاعر حين أخبرها بحبه فخفق قلبها ، والاضطراب الغريب الذي أنتابها حين رأته آخر مرة بالجامعة ،وإن كانت لا تحبه لكن تلك المشاعر أعجبتها؛ حين رأى والدها تلك الرسائل قذف الهاتف على بلاط الغرفة ثم صاح بغضب جعلها ترتجف.

- مين **أحمد** ده ؟هو ده اللي بتقابليه ،وبتهربي من البيت علشانه ؟

سيطر عليها الخوف

- دا زميلي وبس.
- زميلك اللي بتتسرمحي معاه.

قبل أن تجيب أو تبرر انهال عليها ضربا ؛ تعالت صرخاتها ، فخشيت **آثار** أن تحاول منعه.

انتهى كابوس العنف **بأمينة** تبكي من الألم داخل غرفتها بجرح بشفتيها ونزيف بأنفها وجرح صغير بجبينها . تعلم أن حديث حاد دار ما بين **آثار** ووالدها لا تعرف ما حدث لكن صوت **آثار** ارتفع على أبيها لم تكن المرة الأولى التي تضرب بها أمينة , لكن شيء جديد حدث ، فقد نامت في غرفة **أمينة** كان يظهر على وجه **آثار** الحزن ، تفهمت **أمينة** عجزها لكنها غاضبة منها أيضاً ،وغاضبة من هذا الحظ التعس, ماذا إذا اتصلت **صابرين؟** لن تستقبل المكالمة ،وقد لا ترى مريضها مرة أخرى

. . . . . .

حمل اليوم التالي نبأً جديداً حدثتها **آثار** بخوف تعلم أن **أمينة** ورثت بعضاً من عصبية أبيها :

- أبوكِ....

صمتت **آثار** ولم تهتم **أمينة** بالحديث لا يهمها ما يخص أبيها ، وستخبرها **آثار** أنه في النهاية أبيها ، وأنه لابد أن تحتمل **أمينة** أكثر , فأكملت **آثار**

- في واحد مع أبوكِ في الشغل , ابنه أتقدم لك و..أبوكِ وافق وهيتقدموا بعد اسبوعين.

لم تستوعب **أمينة** هذا النبأ في البدايةً , ثم غضبت و ثارت في وجه **آثار**

- أنا مش هتزوج حد , مش هو بيخاف من الفضايح أنا هعمله فضيحة وهطرد له العريس وأهله ,أنا مش هتزوج , أب فاشل ،وزوج فاشل ،وهيتحكم في حياتي كمان أنا مش هتزوج ,مش هبقا ضعيفة وجبانة زيك

تعبت **أمينة** بعد أن أفرجت عما بداخلها من غضب ، فصمتت من جديد بوجه عابس مجبر على العبوس فلا يوجد ما يسر, شغلها حاضر قد يحتضر به مريضها وصديقها الأوحد ، ومستقبل سيجعلها تحتضر ببطء لسنوات طويلة مملة وقاسية . انتظرت **أمينة** مفاجئات أخرى ستحدث حتما.

(.....)

لم أتخيل ،ولو بحلمي أن يأتي اليوم الذي أقف أمام منزل **آية** ومعي أمي , لم يكن العرف يسمح بأن نأتي أنا وأمي دون إخبارهم مسبقاً ، فحسب العادات يجب أن تأتي أمي في زيارة بمفردها لتخبرهم برغبتنا في التقدم لخطبة **آية** ، وإذا تمت الموافقة بشكل مبدئي آتي أنا وأمي . فتح الباب في المرة الثالثة لدق الجرس ,فتحت لنا الباب امرأة أربعينية تشبه **آية** علمت من وجهها أنها والدة **آية**.

- ده بيت **آية عبدالرحمن ؟**

قالت أمي تلك الكلمات فتحولت دهشة والدة **آية** إلى ابتسامة ؛ لعلها عرفت بفطنتها سبب زيارتنا

- اه ده بيت **آية** , اتفضلوا.

رحبت بنا وسمحت لنا بالدخول اجلستنا في غرفة الضيوف ، دقائق قليلة وخرج إلينا رجل في الخمسينات بشعر أبيض كثيف ، وبطن صغير تراه من الوهلة الأولى رجل مسالم , أخبرتهم أمي عن سبب زيارتنا ، فسألني **زوج** أم **آية** أسئلة كثيرة جداً عن دراستي ، ومستقبلي ،وكل ما يخصني , تركتنا والدة آية مراراً ,لتخرج **آية** بعد ما يقرب من مضي أربعون دقيقة لنا داخل منزلهم . كانت مرتدية عباءة فضفاضة ، وحجاب يبدو أنها وضعته دون أي اهتمام ؛ ففهمت أنها أرادت ألا يرى العريس شيئاً من معالم جسدها ؛ احترمت هذا الشيء , لكن البعض قد يراه على أنه تعبير عن الرفض , اقتربت وصافحت أمي دون أن ترفع عينيها عن الأرض, جلست على كرسي بعيد عن مجلسي ما إن نطقت ، وسمعت صوتي حتى تبدل وجهها , قالت أمي ما أرادته من هذه الزيارة.

- ما نسيبهم يقعدوا مع بعض, علشان لو في قبول يبقى كويس أوي ،وبعدين هما اللي هيتزوجوا.

مرت ثواني ثقيلة إلى أن أصدر **زوج أم آية** فرمانه قائلاً –

:نسيبهم يقعدوا مع بعض، هما اللي هيتجوزو.

بدا على **آية** الانزعاج ، لم ترفع عينيها تجاهي, كانت متوترة ، وتفرك أصابعها من شدة غضبها, غادرونا جميعاً , وبقيت أنا ،وهى فقط . فقلت:

- أنا آسف , اتصلت عليكي كتير أوي, أنا آسف بجد

رمقتني ببغض شديد:

- أنت ازاي تفكر تيجي تخطبني يا أستاذ .. **آسر؟**

قالت اسمى باستهزاء , يحق لها؛ فقلت ما يجب على قوله:

- أنا عارف أنتِ شيفاني ازاي ، وعندك حق تشوفيني كده.

رفعت عينيها ساخرة:

- وبعدين!
- سامحيني أو عاقبيني اللي يريحك , والله آسف.

ابتسمت ، وقالت غاضبة بصوت خفيض حتى لا يسمع أحد من أمي أو أهلها

- هسامحك حاضر.. بس على خمس سنين حب ، والكلام اللي قولته في الآخر ،وجملة إني مستهلكش ، والكلام اللي بعديها **(تحول صوتها لعتاب لاذع)** ولا على آخر مرة, أنا قرفانة منك.

لم استطع النطق بحرف آخر بعد ما قالته؛ فكلماتها صحيحة ، لكنها تشمئز مني هذا ما أوجعني حقاً اللفظ قاسي بشدة , مرت دقائق لا أستطيع النظر لها , لكن يجب علي نطق ما يجعلها تغفر لي خاصةً أنها لم تغادرني ، وانتظرت

- أنا عارف إني ندل وجبان ، بس مش أخلاقي اللي عملته معاكي , معرفش بقيت كده امته ؟ بس ادیني فرصة جربى شوفي هتسامحي ،ولا لاء.

سمعت كلماتي ولم تعلق اكتفت بأنها غادرت الغرفة ، ولم تنضم إلى مجلس أهلينا ،وأسرعت إلى غرفتها , وأنا جلست معهم. لم أهتم بحديثهم جال بخاطري ما تمنيته لسنوات تمنيت أن أكون بمنزل **مَريم** الآن , أن أراها حين تبتسم ،أردت تجربة ذلك الشعور معها هي , أردت رؤيتها خجلة في موقف كهذا ، لكنها هجرتني فتحولت مكانتي من حبيب إلى عاشق خاسر , ذهب عقلي إلى خطبتها ممن أصبح زوجها الآن, أحاول الاقتراب منها , وملامسة كفيها, كيف تأمل جسدها حين حضرت الجلسة ؟ فقت من شرودي على صوت أمي تقول لتعلن إنهاء الزيارة :

- اللي فيه الخير يقدمه ربنا.

ثم ودعناهم ،ورحلنا إلى منزلنا , انتظرت قرارها ، لكني أشعر أنها لن تقبل بي زوجاً لها.

(أية)

هربت من تلك الجلسة إلى غرفتي لا أريد رؤيته , يغضبني تقدمه لخطبتي , أراد إهانتي بتقدمه لخطبتي , أهدر كرامتي بأفعاله منذ أقل من شهران فبأي حق يتقدم لخطبتي , لم يكن بالأمر الهين أن اذهب لمنزله , لكنه كان قد قرر إشباع رغباته من الحب بالخداع شعرت بالصدمة حين حاول الاعتداء عليها , كانت تتوقع منه أي فعل إلا أن يصدر عنه ذلك الفعل , لم يستطع عقلها تفسير رغبته في الزواج منها إلا بأنه قد أصيب بمرض أفلام الأبيض والأسود ، وأنه أراد اختبار أخلاقها ليمنحها الشهادة العليا ،ويتزوجها . ما تلك الوقاحة التي تدفع برجل أن يفعل جل ما فعله **آسر** دون حياء..... بعد وقت ليس بالطويل دخلت والدتها عليها قائلة بضيق:

- ازاي تسيبيهم ، وتدخلي.
- كنتي عوزاني أقعد معاهم ويشوفوني ، وعملت اللي طلبتيه
- بس المفروض متدخليش أوضتك غير لما يمشوا
- أنا طلبت منه يجي يتقدم ؟ قلت لكم عاوزة أقعد معاه ؟ أنتوا اللي قررتوا ،وأنا نفذت

تنهدت **والدة آية** بعدم رضاً عن حديث **آية**.

- طيب ايه رأيك ؟

لم تجب **آية** ؛ فتركتها والدتها بمفردها , نهشتها الحيرة أتقبل وتنتقم مما فعل بها, أم ترفضه وتكون قد دافعت عن كرامتها.

(آثار)

لم يكن ما ألزمها الصمت ضرب **أمينة** أو قرار خطبتها، لكن ما تسبب بصمت **آثار** ما حدث حين خرجت لتعاتبه عما فعل **بأمينة** , كان جالساً بهدوء يشاهد إحدى مباريات كرة القدم بالتلفاز ، فأطفئت التلفاز ،ونظرت له بتحدي . فاستشاط غضباً

- ليه كده تشوه وش البنت ؟

- كنت بعدل تربيتك البايظة لبنتك
- بنتي ! وهي مش بنتك ؟

أجاب ببرود متناهي

- اسألي نفسك أنتِ أدرى.

أسكتتها تلك الجملة فقد عاب في عفتها منذ قليل , لم يقل جملته غاضباً بل قالها ببرود ينم عن أنه قصد ما قاله , أصبحت تشمئز منه حين يحاول الاقتراب منها ينتاب جسدها القشعريرة , ما الذنب الذي ارتكبته لتنال هذا المصير ؟ ابتعدت عنه كأن ضعفها قرر التخلي عنها لتواجه مصيرها إما أن تغير من هذا الحاضر أو تخلق حياة أخرى تجعلها إنسانة ولو ليوم واحد في هذا العمر.

(.....)

اتصلت والدتي بعد اسبوع من تقدمي لخطبة **آية** لتسأل عن رأي **آية** ؛ فقيل لأمي : أنها لم تقرر بعد و أن نمهلها أياماً أخرى , انتظرت بصبر ينفذ إلى إن عاودت أمي الاتصال فأخبروها أن **آية** وافقت على الزواج بي ؛ أصابتني الدهشة لم أكن أظن أنها ستقبل الزواج بي , أردتها أن تصر على الرفض فألح عليها حتى تقبل , ولكنها وافقت أسرع مما اعتقدت تم حفل خطبتنا سريعاً ، لم أمهلها فرصة لتحاول منعي من إتمام هذه الزيجة لم تعاملني كخاطبٍ لها تجاهلتني دائماً ، كانت تعاملني دائماً بجفاء وقسوة ؛ فحين انتهينا من مراسم الخطبة كان من الضروري أن أصحبها إلى إحدى الأماكن العامة هكذا العادة يوم الخطبة , فخرجت برفقتي , فتحت لها باب سيارتي الأولى التي كنت قد اشتريتها قبل خطبتنا بأيام , ما إن جلست بالسيارة شعرت بخوفها مني ؛ تخشى أن أفعل كما فعلت حين زارتني بمنزلي , نظرت لها خجلاً من ذعرها مني بهذا الشكل فحاولت تهدئتها:

- تحبي نروح فين ؟

أجابت بابتسامة مقتضبة:

- المكان اللي تحبه.

لم تنظر لي بعدها نظرت من زجاج السيارة إلى الشارع ، حاولت أن أطمئنها وأشعرها بحسن نواياي , فأشعلت مذياع السيارة على محطة القرآن الكريم ؛ شعرت باطمئنانها قليلاً ، فكانت الآيات تقول.

((قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا))

أهلكتني الآية ؛ أخشى أن أكون خاسراً , جل ذنوبي ارتكبتها بحق من تجلس جواري الآن . إذا غفرت لي ستمحو مساوئي ؟ أبطأت محرك السيارة أمام المقابر ؛ ظهر عليها الهلع نظرت لي بتحذير أرادت إخافتي حتى لا أعيد الكرة :

- أنت وقفت هنا ليه ؟
- عايز أعرفك على حد.

ارتفعت نبرتها بجرأة مصطنعة , لكني أعلم بشأن خوفها:

- أنا مش هنزل من هنا ، وأنت خليك مكانك.

فحدثتها بود حتى تهدأ:

- ومين يدخل المقابر بالليل غير المجانين , هنتكلم من هنا شايفة الشارع الطويل ده؟ **(هزت رأسها بفزع لعلها اعتقدت أني مجنون)** أبويا هنا في تالت مقبرة , حسيت إن عيب أوي أخطب من غير ما أبويا يشوف خطيبة ابنه (**ابتسمت بحزن لعلي ذكرتها بأبيها , سمحت لي ابتسامتها أن أكمل لها حديثه)** هو كان مريض في آخر ليلة ليه قبل موته كنت تعبان ، وراجع من برة نادى عليا كانت المرة الأولى اللي صوتي يعلى عليه فيها ، وأنا بكلمة زعقت , أتأسفت له بعد شوية بس تاني يوم تعب ، ودخل المستشفى ؛ روحت له كان نايم على السرير مش شايفني بس حاسس بيا ، كان بينادي باسمي ؛ فقعدت جنبه فضلت أكلمه وهو مش شايفني , وبعد كام يوم مات (**ظهرت في عيني دمعة فابتسمت حتى أخبأها ،وأكملت مازحا**) هو ايه اللي أنا بقوله ده , دي خطوبتنا **(لوحت بيدي كأن أبي يراني أردته أن يشعر بي)** بابا **آية** خطيبتي أهه , أول يوم نلبس دبل.

فلوحت بيدها أيضاً

- أنا **آية** يا عمي .

فصحت

- احنا هنروح نتعشى بره , سلام .

أنهيت بتلك الجملة لقاءي الذي يعد من طرف واحد متمنياً أن يكون أحس بوجودي ,أدرت محرك السيارة ، واتجهت إلى أحد المطاعم لنكمل سهرتنا , لم تنطق **آية** بكلمة واحدة ؛ فحدثتها في كل المواضيع التافهة والجادة ، وعن المكان ،والحياة ؛ فما بدر عنها إلا النظر بصمت , لم أستطع أن أخمن فيما تفكر؟ , ولم أحاول لمس يدها حتى ، ولم أبوح بأي من المجاملات عن ثوبها الوردي الذي صنع منها أميرة لأفلام ديزني ، خشيت أن تفهم حديثي على محملٍ سيئ . أكملنا عشاءنا بصمت , ثم أوصلتها منزلها ، وعدت إلى منزلي , لم تنطق سوى بكلمات بسيطة لكن ما صدر عنها من الإنصات لحديثي ، والتلويح لأبي كان قد طمئنني , لكنها عاملتني فيما بعد بجفاء أيضاً .فتملكني الندم على كل أخطائي التي ارتكبتها طوال حياتي بسبب طريقتها القاسية معي , لكني لم أتراجع , ليأتي يوم زفافنا مختلف عن كل الأعراس التي شاهدتها يوماً.

(أمينة)

قبل الخطبة بيوم كانت **آثار** قد اختارت تعذيبي لذنب لم أرتكبه ، لم أستطع مقاومة أبي في تلك الزيجة , فلا زلت أنا العنصر الأضعف ، دقت أجراس عقارب الساعة لتعلن قدوم العريس , فتح أبي الباب ، ويدخل شاب يرتدي بذة سوداء ، ذا ملامح كأي رجل , ليس بالقبيح ،وبرفقته رجل وامرأة يبدو أنهم والديه , حين دخلت **أمينة** إليهم حاملة بين يديها صينية قهوة . كان والدها مسرور بإنجازه لإجباره ابنته على تلك الزيجة , حين دبت قدماها الغرفة التفت إليها الجميع خاصة العريس , رمقها بشدة حفظ تفاصيل جسدها ، خجلت من نظراته ؛ فجلست على أبعد كرسي عن مجلسه ,حتى تنجو بجسدها عن نظراته .

كيف يحاسب أب ابنته على أن شخصاً أحَبها ، أو أن قلبها دق لغريب ، كيف لا يصح الحب ، ويصح أن يدخل غريب المنزل ، ويتفحص جسد ابنته بدقة عالية، وبعد أن يحفظ تضاريسه جيداً ؛ يقرر هل تناسبه ؟أم يذهب لمنزل أخر؟ وفتاة أخرى بمقاييس و أبعاد مختلفة .

بعد مرور وقت كافي من شرودها ، للتفكير بكل ما زاد من غضبها , خرج الجميع تاركاً **أمينة** ، والعريس بمفردهم في الغرفة ؛ فحاول هو بدء الحوار:

- أنا اسمي **عمرو** , ازيك **يا أمينة** ؟

انتابها الضيق فأجابت باقتضاب

- تمام
- أنتِ في سنة كام في الجامعة , وجامعة ايه ؟
- **(أجابت بضيق)** مش بابا قالك.
- اه بس عاوزك أنتِ تقوليلي.

تمنت أن تنتهي المقابلة ، وتعود لغرفتها , أرادت تركه بمفرده ، لكنها خشيت رد فعل أبيها ؛ فاضطرت إلى أن تمضى تلك الليلة ؛ حتى ترحم قليلاً من أبيها.

- مردتيش , أنتِ مكسوفة ؟.

تحدثت بنفاذ صبر

- في تالتة أداب تاريخ.
- طاب ما أنتِ بتتكلمي حلو أهوه ، وصوتك حلو

قال كلماته مغازلاً ، ثم قام من مجلسه ، وجلس على الكرسي الأقرب لها

- وشكلك حلو , أنتِ مش هتسئليني حاجة

تنهدت بغضب ثم قالت:

- شايف نفسك فين كمان عشر سنين ؟

ضحك بشدة فرمقته بسخرية, انتهى من ضحكه ،وسألها:

- أنتِ حبيتي قبل كده ؟
- لاء
- هما اللي حواليكي مبيشوفوش ؟
- أستاذ **عمرو**.
- لاء , أنا دكتور.

التفتت إليه غاضبة

- دكتور **عمرو** , واضح إن حضرتك حبيت كتير قبل كده ؛ فمتصور إن كل البنات عملت مع الولاد اللي حضرتك عملته مع بنات غيرهم.

قال بإعجاب:

- حلوة وأنتِ متعصبة , بس مش غلط أحب كتير ما هو ده هيفيدك.

أدارت وجهها غاضباً من كلماته ، وغروره ؛ فرمقها بعينيه بإعجاب شديد

- ايه رأيك فيا ؟
- بعدين تعرف عن اذنك.

غادرت الغرفة ، واتجهت لمجلس الأسرتين ، وجلست بجوار **آثار** ؛ فتبعها وجلس على كرسي بجوار والد **أمينة** يرمقها طوال باقي المقابلة , مر الوقت بطيء وممل ,وحين انتهت الزيارة تبادل الأهل كلمات الوداع , وقبل أن يغادر **عمرو** التفت إلى **أمينة** , تأملها سريعاً من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها , ثم رحل ما إن غادروا أسرعت **أمينة** إلى غرفتها

في صباح اليوم التالي خرجت من غرفتها كان أبيها يتناول الفطور فجلست على أحد كراسي المائدة فقالت لأبيها:

أنا مش موافقة.

قال ، وهو يضع في فمه لقمة عيش منغمسة بالفول:

- هتتعودي.
- يا بابا مش عوزاه.

التفت إليها بنظرة تعرفها جيدا (نظرة ما قبل العاصفة)

- عايزة تتجوزي مين؟ **أحمد** ؟

أسكتتها تلك الجملة , ما إذا قررت استمرار الجدال سيثور أبيها ، وفي النهاية هي الخاسرة . أخرجها من الزيجة ووالدها انشغالها بمريضها الذي لا تعرف عنه شيء , هاتفها بحوزة أبيها ، ولا تجرؤ على الخروج من المنزل , استبد بها القلق والتوتر والخوف. مر اسبوع آخر ، ووافق والدها على الخطبة بشكل رسمي ؛ أصبحت خطيبة **عمرو** ، وزوجة مستقبل أسود سيجمعهم تحت سقف واحد , ليلاعبها القدر إما أن تعتاد عليه ، أو تحبس في زنزانته إلى خروج الروح من الجسد .

زياره مريضها جعلت منها شخص يملك بعض الروح والمشاعر لتفيق على قرار أبيها.

(.....)

لم يتساورني أي شعور ,كمن مورس عليه السحر الأسود فأصبح أداة لفعل ما خططت له , جلست على سريري في غرفتي التي سأرحل عنها الليلة بعد أن انتهيت من ارتداء بذلتي السوداء ، جلست أفكر . لما فعلت ذلك ؟ لم أتزوج من **آية** ؟

أفعلت كل هذا من أجل تأنيب ضميري لأجل أفعالي ؟ أم أني أردت معاقبة نفسي بإرغامي على الهروب من طيف **مَريم** , أردت أن أثبت لها أني لن انتظرها ، وفعلت كما فعلت هي , سرقني التفكير من عرسي إلا أن طرق عمي باب الغرفة لاستعجالي .

. . . . . .

وقفت أمام صالون التجميل النسائي , خرجت **آية** كأميرة حقاً في فستانها الأبيض ، وحجاب أبيض براق أضاف إلى وجهها نور ؛ فأصبحت متوهجة بوجه رقيق خجل من كونه وجه العروس , اتجهنا بعد ذلك إلى حفل الزفاف ، بدأت المراسم سريعاً . فالتف أصحابي حولي وجذبوني للرقص معهم , لهذا اليوم فرحة , من الجيد أن تكون عريساً حتى وإن كانت العروس من لم تحلم بقضاء ذلك اليوم معها ,لكن لليلة سعادة مختلفة تستحق أن يطلقوا عليها ليلة العمر , اقتربت من **آية** لففت ذراعي حول خصرها ، وهي لفت أصابعها الرقيقة حول رقبتي , لم اقترب من أي امرأة إلى هذا الحد , سوى وقت نذالتي مع **آية** , لم تنظر لي طوال الرقصة شعرت أنها تبغضني ؛ فكرهت تلك الرقصة ، وشغلني سؤال محير , علام يضحك العروسان أثناء الرقص؟ علام يضحكان بشدة طوال تلك الدقائق ؟ ما الحديث المرح الذي يمنحهم تلك السعادة التي لم تعترينا؟ لكن جيد أن تحتضن شخص ما , خاصة إذا كان ذلك الشخص امرأة ، وتلك المرأة زوجتك التي لم تخترها بعد , انتهى الزفاف ؛ وانطلقنا إلى شقتنا , كانت **آية** مقتضبة طوال فترة ركوبنا السيارة لنصل منزلنا ، انصرف الجميع ، وبقيت أنا **وآية** بمفردنا , ما إن أصبحنا بمفردنا أسرعت **آية** إلى غرفة النوم ، وأغلقت باب الغرفة بالمفتاح, أما أنا فراودني ما يراود أي رجل في تلك الليلة .

(أية)

ما الذي جاء بي إلى هذا المكان؟ لم فعلت هذا؟ يا لحمقى تزوجت من لم يترك وسيلة لإهانتي إلا وفعلها, لازلت أذكر جل كلماته التي قالها لي, أذكر خداعه ، وكذبه ، و أنانيته , فما الذي جعلني أوافق حين حاولت أمي إقناعي بالموافقة؟ أخشى أن أكون أردت الانتقام منه فانتقمت من نفسي , حاول الاعتداء علي سابقاً فجئت إليه ليفعل ما أراده بزواجي منه , جاءها صوت **آسر** من الخارج ؛ فانتفضت هرعه إلى آخر الغرفة خوفاً من دخوله , لكنه لم يحاول فتح الباب حتى , تحدث من الخارج:

- أنا مش عاجبني الأكل بتاع العرسان ده , أنا هطلب بيتزا أجبلك معايا ؟

لم تجب فقال مازحاً:

- شكلك عاوزة بيتزا , عايزاها ايه ؟

قالت بصوت خفيض لم يسمعه:

- أي حاجة , مش عايزة حاجة منك.

فناداها من جديد:

- هجيبلك على زوقي.

وجدت **آية** نفسها تبتسم على كلماته , أيقنت في تلك اللحظة أنها تزوجته فقط ؛لأنها أحبته فلم تستطع رفض الزواج منه رغم كل ما ارتكب في حقها , خلعت فستانها ، وارتدت بجامة فضفاضة بأكمام طويلة ، وغطت شعرها بحجاب , علا صوت **آسر** منادياً مرةً أخرى:

- **آية** البيتزا جت يلا اخرجي .

ناداها مراراً ولم تخرج ،وبعد دقائق خرجت أخرجها الشعور بالجوع لم تأكل منذ يومين . فتحت الباب ،ونظرت حولها , تخشاه بشدة , فظهر أمامها خشيت أن يقترب منها ،لكنه اقترب جذبها برفق من أمام باب الغرفة , ودخل وأغلق الباب ،وصاح من الداخل:

- هاتي أطباق ، ومية من الثلاجة على ما أغير هدومي .

ادهشتها جرأته , لكن لم تحرك ساكناً ؛ ففتح الباب وقال لها مراراً:

- يابنتي اتحركي , الأكل هيبرد .

(أمينة)

حان وقت زيارة خطيبها المدعو **عمرو** ، قابلته بوجه عابس ، مد يده ليصافحها ,فقالت:

- مبسلمش على رجاله.

ثم جلست على مسافة بعيدة عنه ، فقال بابتسامة.

- أنا مش رجاله
- والله دي حاجة أنت أدرى بيها.

استاء من كلماتها ، فقالت:

- أنا مقصدش.
- ولا يهمك.

مد يده لها بعلبة صغيرة وفتحها أمامها , بداخل العلبة قلادة صغيرة مكتوب عليها ***أمينة*** ، ذوقه رفيع ، ولكنها لم تبدِ إعجابها بها ولم تمد يدها لتأخذها ، وقالت:

- مش هينفع أخدها.

فقال باندهاش

- ليه ؟ أنا خطيبك!
- علشان مش وقتها , مفيش مناسبة ليها
- إنك وافقتي تتزوجيني دي مناسبة.

أرادت إخباره أنها أجبرت على الموافقة ، ولكنها صمتت وقالت:

- لما يبقى في حاجة رسمي ابقى اديني هدية.
- ما احنا هنعمل خطوبتنا قريب، بس مش ده الموضوع) **نظر لها آمراً** (اقبليها

فقالت:

- لاء ,مش هقبلها.

- أنتِ عنيدة أوي.
- أنت اللي متحكم زيادة.

وضع هديته بجيبه ، وجلس عابس الوجه لدقائق قليلة ورحل . فكرت أنها عاملته بصورة سيئة ، ولكنها ترفض الزواج منه ، فلم تعامله بلين

(.....)

أحضرت أنا الأطباق بعد أن بدلت ثيابي , أما **آية** فكانت جالسة على الأريكة ضامة قدميها إلى بعضهما وعاقدة ذراعيها حول صدرها ,أتخشاني إلى هذا الحد؟ وضعت الأطباق والفطائر على المنضدة أمام **آية ,** و لألطف الأجواء أشعلت التلفاز على فيلم رومانسي , لم أكن ممن يحبون هذا النوع من الأفلام , لكني شاهدت هذا الفيلم من أجلها هي لابد أنها تحب تلك الأفلام كنساء العالم , جلست على نفس الأريكة مبتعداً عنها بمسافة كافية حتى لا أثير خوفها أو قلقها , بدأت في تناول البيتزا، وهي جالسة على نفس الوضع , فابتسمت لها:

- أنتِ مكسوفة تاكلي ؟

لم تجب رمقتني بعدم اهتمام , ثم نظرت إلى التلفاز . مر الوقت ، وانتهيت من طعامى ، وهى على نفس حالتها ؛ فصببت لها بعض الماء من الزجاجة في الكوب ،ومددت يدي لها بالكوب.

- اشربي دي ميه. مش حاجة صفرة.

كنت أمزح ، ولكنها رمقتني بعينيها ؛ فكأن نظراتها سهام اخترقتني ؛ فجعلت قلبي متألماً ثم قالت:

- طيب اللي بيعملوا حاجة صفرة دول بيتكسفوا ؛ فبيعملوا ده في الخفا لكن أنت خمس سنين بتضحك في وشي , بتقولي كلام حلو ، وبعد خمس سنين زهقت فسبتني , وأنت عارف بعدين ايه حصل .

قالت كلماتها ، وأسرعت إلى غرفة النوم , أخجلتني كلماتها ، وأغضبني أنها تزوجتني , لما لم ترفض ؟ أردت إخراجها عنوة من تلك الغرفة ، أن تناقشني أن

تسبني أو تصفعني ، لكني لا أملك مبرراً إن سألتني عن أسباب كل ما مضى , أردت الانتقام من اللعينة فانتقمت من نفسي عن طريق **آية ,** لن أغفر لي محاولتي الاعتداء عليها , لن يفيد الندم ، يجب أن أجعلها تغفر لي , يبدو أنها تزوجتني لسبب آخر ، غير أنها قبلت بي لأنها تحبني

بعد وقت كافٍ لتكون قد هدأت حملت البيتزا ، ووضعتها أمام باب الغرفة المغلق . طرقت على الباب بخفة، حتى لا أزعجها, فلم تجب فحدثتها:

- **آية** , أنا حطيت لك البيتزا قدام الباب افتحي خديها , أنتِ عندك حق ، بس أنا بتكسف يا **آية** اتكسفت من اللي عملته معاكي ، و بتكسف من نفسي لما بشوف نظرتك بتكسف لما بحس بكرهك.

قلت كلماتي ، ثم عدت إلى الأريكة بعد وقت ليس بقصير سمعت صوت الباب وهو يفتح, لم أنظر لها , أغمضت عيني حتى تعرف أني نائم , فتتحرك كيفما أرادت دون خوف مني , لكنها بعد ثوان أغلقت الباب , لم أستطع النوم تلك الليلة , لم أكن أنوي الاقتراب منها ، ولن أفعل إلا إذا أرادت هي وسمحت لي بذلك , لكني حاولت الوصول بعقلي لحل لهذا الوضع , لم يكن ما دار بيننا مبشر بأن علاقة جيدة ستجمع بيننا.

. . . . . .

في الصباح استيقظت على صوت **آية**:

- قوم **يا آسر** أمي وزوجها بيخبطوا ,قوم.

قلت بصوت ناعس:

- لسه بدري أوي.

رمقتني بعدم رضا عما أقول

- مش بدري ولا حاجة , الساعة داخلة على تلاتة العصر .

أسرعت إلى دورة المياه لأغسل وجهي بالماء ، واستقبلت **آية** عائلتها , عاملتني بود أمامهم , أردت شكرهم على قدومهم لزيارتنا حين ضيافتهم بتقديم أكواب من المياه الغازية , أمسكت عنها الصينية فلامست أصابعها دون عمد ، كادت أن ترمي الصينية وضغطت على أسنانها من غيظها ،لكنها ابتسمت أمامهم ،ثم جلست أردت استغلال الموقف ، فقلت لها:

- معلش يا **آية** , ممكن كوباية ميه لو سمحتي ؟
- حاضر.

قالتها بضيق ،ثم أحضرت كوب الماء ، ولم تجلس على الكرسي الذي جلست عليه سابقاً جلست على الأريكة لتبتعد عني , وبعد قليل افتعلت قيامي لإحضار شيء ما ،وجلست بجوارها , كانت تبتسم وتحدثهم لكني أعلم أنها تستشيط غيظاً مني , لم أكن أريد إزعاجها قصدت أن تقبل بوجودي داخل عالمها ، كما ادخلتها عالمي ، وأخرجت طيف **مَريم** غير راضٍ عن هجره.

(آثار)

لم تعرف إلى الآن ما يتوجب عليها فعله فقد تركت عمرها يضيع كحبات عقد منفرط, ولن تترك عقد حياة **أمينة** ينفرط أيضاً تنتظر أن تجد سبيل للخلاص لعلها تقاوم استسلامها ؛ فتنجو ببقايا عمر كتبت سطوره خالية إلا من وجع يتزايد باستمرار ، ونظرة تائهة جعلت قلبها يدرك الحب منذ سنوات مضت هاربة.

(أمينة)

مر أسبوع منذ زيارة **عمرو** الثانية ، ازدادت ضيقاً بهذا الحبس ، لكن مريضها أجبرها على الانشغال بحاله , فتح والدها الباب دون استئذان كعادته , لعله يظن أنه إذا فتح الباب فجأة قد يراها بالجرم المشهود , كانت جالسة على سريرها تفكر فرمى لها هاتفها قائلاً:

- خطيبك عاوز يكلمك ، لو مكنش هو مكنتش همسكك الموبايل تاني , بس هقوله خدته منك ليه ؟

قالها ثم خرج , يعتقد أن طريقته في جلدها بتلك الكلمات , قد تجبرها في النهاية على الخضوع لما يقرره هو , أمسكت هاتفها كغارق وجد النجاة , كان مغلق فأعادت تشغيله فوصلتها رسالة بعد دقائق قليلة من رقم مجهول كان محتواها

(أنا صابرين الممرضة يا أمينة)

خفق قلبها ، ونهشها القلق , اتصلت على رقم **صابرين** التي أرسلت إليها منه الرسالة , فأجابتها المرأة ذات الكلمات التي تفقدك أمالك قائلة:

"الهاتف المطلوب مغلق يرجى الاتصال في وقت لاحق"

لو تعلم تلك المرأة أن كلماتها عدد القلوب والنفوس المتعبة التي أهلكتها بقتل جل الآمال بسماع ما تنتظره وتتوق لقوله.

ساور **أمينة** الظن بأن الأجهزة قد رفعت عن مريضها ، وأن **الممرضة صابرين** أرسلت تلك الرسالة لتعلمها بمصيره , حزنت للتفكير بأنه رحل دون أن تودعه ، او تحدثه عما أرادت , اتصلت مراراً فكان الهاتف مغلقاً تباً لهذا الحظ لما أرسلت الرسالة إن كانت ستغلق هاتفها , ألا تعرف أن كلماتها ستجعل **أمينة** قلقة , مرت الساعات وهى تتصل فتجد الهاتف مغلق , فقاطع محاولتها أتصال من رقم مجهول آخر أجابت على الفور لعل المتصلة **الممرضة صابرين ,** فقالت بصوت مثقل خوفاً من أن تسمع ما لا تتمنى حدوثه:

- ألو.

ليأتي صوته

- ازيك يا حَبيبي ؟

فرحت لعلمها أن المتصلة ليست **صابرين** ،لكنها تضايقت من أن المتصل **عمرو**.

- ايه يا حَبيبي , روحتي فين ؟
- أنا تمام .

فقال بدلال ذكوري بغيض :

- وأنا تمام علشان كلمتك.
- الله يخليك.
- الله يخليني , طيب بتعملي ايه ؟

أجابت بصوت متعب:

- مبعملش حاجة.
- مال صوتك , مين مضايقك ؟
- محدش جربت يبقا عندك أمل في حاجة وتخاف يطلع أملك ده ضاع أو راح

قال مازحاً:

- أنا لو أمل عملت فيا كده ، هسيبها واستنى حد تاني.

لو كانت بموقفٍ آخر لعلها ضحكت ساخرة على هذا التعليق السخيف , لكنها لا تحتمل أي مزاح فالتزمت الصمت متمنية من الله أن تنتهي تلك المكالمة لتستطيع محاولة الاتصال برقم **صابرين** .

- روحتي فين ؟
- مروحتش يا **عمرو** , أنت كنت متصل لسبب ؟
- اه الصراحة بحلم بيكي.

تنهدت لتخرج بعضاً من الحزن ،والقلق مما بداخلها . فانفرطت دمعة لتريحها قليلاً ,لكنه أكمل حديثه فحاولت أن تكتم صوت أنفاسها الباكية حتى لايصل أي منها إلى أذنيه .

- كنت بحلم إن يوم فرحنا ، وبعدين بقيت أنا وأنتِ لوحدنا , كنت بلعب في شعرك ،ونزلت من شعرك على كتفك فقربت من وشك(**صمت ثواني ثم أكمل)** أنتِ شعرك عامل ازاي ؟ المهم كنتي حلوة أوي في الحلم متزعليش إني بوستك.. في الحلم ما أنتِ مراتي.. في الحلم.

صاحت بغضب

ايه اللي قلته ده اسكت

ثم انهت المكالمة , عاود الاتصال بها لما يقرب من عشر مرات ؛ فلم تجب , هاتفت **صابرين** دون جدوى , وصلتها رسالة أخرى من **عمرو**:

♡) عايز أخرج معاكي يا حبيبي المؤدب , أنا استأذنت عمي بس اتفق على الميعاد سوا وبلغوني(

لو أنها بوضع آخر ما كانت لتقبل بمغادرة منزلها برفقة شخص كهذا ،ولكن رافقته لأن هذه تعد فرصتها الوحيدة المتاحة للاطمئنان على مريضها تمنت أن يقرر أبيها الموعد سريعاً ؛ لتعلم حاله و تعرف مصيره.

(.....)

لم تغادر آية الغرفة إلا حينما زارتنا أمي في اليوم الثالث بعد زفافنا لم تكن زارتنا أمي من قبل ؛ لم تكن تريد إزعاجنا , جلبت لنا أمي معها طعام لعشاءنا , دهشت من تعامل **آية** مع أمي بطريقة جيدة , أصرت **آية** على أمي أن تتناول العشاء معنا ؛ فلم تجد أمي مهرب بعد إلحاح آية فوافقت , شعرت بأن رسام ما بالجوار يرسم لوحة تعبر عن اكتمال صورة عائلتي الصغيرة ، مع ترك جزء خالي داخل اللوحة ,جزء ترك فارغ لأبي ؛ وجزء آخر بقلبي الغائب عن تلك العائلة الصغيرة ، منتمي في غيابه لعائلة لن تكون له يوماً , لاحظت أمي الفتور في علاقتي أنا **وآية** ,كنا نجلس متباعدين ولا نتبادل سوى كلمات قليلة تفي بالغرض . . فابتسمت أمي في وجه **آية** بخبث امرأة.

- أنتوا عاملين ايه ؟

(أجابتها آية ببراءة ، وابتسامة .(

- احنا .! الحمد لله تمام.

لم تفهم **آية** مغزى سؤال أمي , لكنى فهمت سؤالها جيداً .فابتسمت ، ونظرت **لأية** حتى تفهم أمي أننا سعداء . مرت الزيارة سريعاً . وعند باب الشقة وقفت أنا **وأية** لنودع أمي ، فلففت ذراعي حول خصر **أية** ، وضممتها إلى . لم تغضب أمام أمي ابتسمت ؛وما إن رحلت أمي أزاحت **أية** ذراعي بغضب ، وأسرعت إلى غرفة النوم ، وأغلقت الباب .

. . . . . .

مرت عشرة أيام على زواجنا ، **وآية** حبيسة تلك الغرفة ،وأنا حر طليق في باقي المنزل , نجتمع فقط حين يزورنا أحد المعارف أو الأقارب والأصحاب ؛ لم أحتمل هذا الوضع كثيراً ؛ فقررت الذهاب للعمل لأمنحها بعض الوقت لتتصرف بحريةٍ في المنزل.

. . . . . .

عدت من عملي طرقت الباب حتى تفتح هي ؛ فتحت لي الباب وأسرعت إلى الداخل , كان الطعام معد على المائدة , أسرعت إلى الغرفة فلحقتها ووقفت حائلاً بينها وبين تلك الغرفة التي تتكون من سرير ، وخزينة الملابس ، وأريكة صغيرة ، ومساحة باقية ليست بواسعة , لا أعلم كيف تمضي بداخلها أغلب وقتها فقالت بوجه عابس دون النظر إلي:

- ممكن تبعد.
- لاء.

قلتها ثم أمسكت يدها ، وسحبتها إلى المائدة , أجلستها على كرسي ، وجلست على كرسي بجوارها , وضعت أمامها الطعام وقلت حتى لا تسيئ الظن :

- مينفعش أكل لواحدي ، وأنتِ اللي عاملة الأكل **(وأكملت ضاحكا)**، ولا حطالي سم ؟

حاولت أن تخبئ ابتسامتها لكني لمحتها فأضفت

- هناكل ، وبعدين نشيل الأكل سوا ، ونعمل شاي ،ونقعد نعمل أي حاجة **(رمقتني فأردفت لأرفع الحرج)**نتكلم مع بعض نتفرج على التلفزيون , أي حاجة كبني آدمين عايشين سوا.

لم تجب تناولت طعامها سريعاً بوجه تعتليه نظرة ضيق , ثم حملت طبقها إلى المطبخ ، وحملت أنا باقي الأطباق إلى المطبخ , أعددت كوبين من الشاي ، ووضعتهم أمام التلفاز . **شربت** كوبها سريعاً ثم قالت كطفلة متمردة:

- هو ده اللي كنت عاوزه عن اذنك .

لم تمنحني فرصة لأضيف تعليق أسرعت إلى غرفتها واغلقت الباب ؛ فساورني الظن بأنها خشيت أن أطالبها بما هو أكثر منتهزاً قبولها تناول الطعام معي , لم تكن الأيام تحمل لنا ما يسر ، **لكن المفاجآت حدثت تباعاً**.

(المجهول)

ليس القدر هو المجهول الوحيد , فبالقلب أحاسيس ، وبالعقل أفكار نلحظها بغتة

(.....)

أشعر بطيف **مَريم** يتملكني ، لا أملك سوى الاختيار ما بين أن اترك طيف **مَريم** الملعونة يلعن قلبي فيمتلكه , أو أسمح لطيف **آية** أن يشغلني , فاخترت الخيار الثاني , عدت من العمل وجدت **آية** في المطبخ , دخلت إليها كانت تقطع الخضروات بالسكين . فأردفت

- عاوز أتكلم معاكي.

أجابت دون أن تنظر لي مستمرة بالتقطيع:

- مش فاضية.

أطفئت الموقد ، وأخذت منها السكين ، وأمسكتها من يدها وسحبتها للخارج أجلستها على الأريكة ، وجلست جوارها , حاولت سحب يديها ، لكني لم أعطها الفرصة , فقالت:

- سيب ايدي
- لما أخلص كلامي هسيب ايدك.
- لو سمحت يا **آسر** سيب ايدي.
- أول مرة تناديني باسمي من يوم ما اتزوجنا كنت فاكرك نسيتيه.

حَاولت بكل ما تستطيع أن تسحب يدها ، لكني لم أدعها تهرب.

- أنا لازم أكلمك , لازم مشاكلنا تنتهي , هحكيلك كل حاجة(**أمسكت كفيها بيدي و وضعتهما على ركبتي ، ونظرت بعينيها لتلحظ صدقي وتطمئن)** كنت بحب واحدة اسمها مريم كانت معانا في الجامعة كلية تجارة , أنتِ وقفتي معاها مرة عرفتها صدفه قبل ما أعرف إنك بتحبيني عارف كنت أناني ، وزى كل الرجاله ونسيتك لسنين ، وضيعت لك عمرك ،وقلبك ،وكل حاجة وهي عملت معايا نفس اللي عملته معاكي .

رمقتني معاتبة بحزن:

- والمفروض اعمل ايه ؟
- سامحيني , أدي فرصة يمكن أعرف أرد لك حقك ، ممكن تسامحيني , أما اللي حصل لما حاولت **(صمت للحظة خجلاً)** أنا آسف معنديش مبرر غير إني كنت حيوان عاقبتك على اللي هي عملته عمرى ما حاولت أأذيكي ضميري كان بيدبحني كل يوم وأنا بخدعك , أنا آسف.

نطقت بصوت متألم:

- اتزوجتني ليه ؟

- علشان كان لازم اتزوجك مش هلاقي أحسن منك تبقى مراتي ، وآمن على نفسي معاها.

رمقتنى بعينيها كمن تعرف إجابة سؤالها التالي

- لازم ليه ؟ حَبتني يا **آسر** ؟

لم أستطع الإجابة ، هربت من عينيها ؛ فسحبت يدها فلم أقاومها . قالت وهي تسرع إلى الغرفة:

- ياريتك سبتني في حالي ، ومتجوزتنيش

هرولت إلى الغرفة وأغلقت الباب , مضى الليل بطيئ لم أستطع إجابتها ، لو أنها سألتني بالسابق لأجبت بلا تردد , ولكني لا أوقن أني لازلت أحب **مَريم** ، أم أني أحببت **آية** فأردت خلق جديد بيننا ، وإن كنت لا أحبها يكفيني حبها لي , يكفيني اهتمامها بعد إنهاك عقلي وقلبي وصلتني الإجابة ؛ فأرسلت إليها رسالة قبيل الفجر.

" بحبك يا آية , اه حبيتك "

لم أكن أكذب ، كل ما في الأمر أني أدركت الآن فقط , لا يشبه حبي لآ**ية** حبي ل**مَريم** ، لكلاهما حب من نوع مختلف ، أو لأني أحببت **مَريم** ، وجعلتها من تملك قلبي ؛ فلم أدرك أني أحببت **آية** , توهمت أني استنفذت ، ولم يعد بداخلي ما امنحه لامرأة أخرى .

(أية)

قتلتني إجابته التي لم ينطقها , كرهت قلبي الذي ارغمني على الاستمرار إلى الآن ,كرهت الحب وضعفي إلى حد قبول الزواج منه , لم يخطئ حين وصفني بالضعيفة فأنا أضعف من أن أحافظ على كرامتي ، اضعف من أن أدير دفة قلبي سحقاً لحبي .

جاءتني رسالته قبيل الفجر , كنت أغط في نومي ، دائماً ما كان النوم ملاذي حينما يعتصرني الحزن , رأيتها في الصباح , لم تغير تلك الرسالة شيئاً لم أصدقها ؛ كان قد غرس السكين ، وبدأت دماء القلب تسيل , فزادت رسالته من حدة ألمي ,

أشعرتني رسالته بأني يرثى لحالي , شفق على قلبي العليل برسالة , كتبها بما يملك من جرأة ليكتب حروف خالية من الصدق.

لم أغادر الغرفة إلا حينما تأكدت من مغادرته المنزل و ذهابه للعمل , انتهيت من أعمال المنزل , ثم مررت بوالدة **آسر** , دائماً ما كانت بلسماً شافياً لا تسئلني عن شيء , ولا تتدخل فيما لا يعنيها , تحدثني عما يشغل جميع النساء من أمور النميمة ، التي لا أرفضها لكن سرقني عقلي من أحاديثها , أردت الوصول لقرار لا أريد أن تستمر المعاناة لوقت أطول , عشت عمري مع زوج أم ، وهربت منه لأعيش مع زوج لم يرني **حَبيبته** يوماً .

- مالك في حاجة , **آسر** مزعلك ؟

أخرجني سؤالها من شرودي , فأجبت بابتسامة.

- لاء , أنا اللي زعلانة من غير سبب.
- يمكن هرمونات حمل.
- لاء ,ما...
- ما ايه ؟.
- ما مفيش حمل , أنا مش حامل.

ابتسمت في وجهي بحنو:

- متزعليش بكرة تحملي.
- أنا هطلع علشان **آسر** لما يرجع.

. . . . . .

لم يكن هناك داعي من المجاراة في هذا الحديث , خشيت أن تختلف طريقتها معي إذا شعرت بما يدور بيننا ، أو إن تحزن إذا علمت بما فعله ابنها بفتاة بائسة تسمى **آية** تسكن منزله , عدت لشقتي أعددت الغداء , حين عاد من عمله تناولت الطعام معه , ظل يحدثني عن أشياء لا تعنيني ؛لم أتفاعل معه , ولم أستطع مضغ الطعام فتظاهرت بأني أستمتع بالطعام ، وأني بأحسن حال .

قد اكتفيت من عطفه , من انتظاره ، ولن أبادر مرة أخرى ، ولن يرضيني جواب عابر , عندما يعشقني سأشعر , لم تعد تكفيني مجرد دقات قلب , لن يرض قلبي سوى أن يُعشق.

(آثار)

جلست بالشرفة قبل عودة زوجها ، **وأمينة** حبيسة غرفتها , لا تعلم ما يدور داخل عقل ابنتها ، لكن شيء ما أكبر من أمر الخطبة حول **أمينة** للشرود أغلب الوقت ما الذي أسكت ابنتها التي لم ترث من أبيها سوى جزء من عصبيته وعجرفته .

عاد بها الزمن إلى السنة الأولى من زواجها , عاد أهلها إلى الإسماعيلية بعد شهور قليلة من زواجها , وكأن القدر جاء بهم إلى القاهرة حتى تتزوج من هذا الزوج , ثم يعودون ادراجهم لبلدهم الأصل ، تاركين إياها لتواجه هذا المصير وحيدة.

أردت السفر لزيارتهم بالإسماعيلية ، وقضاء أيام قليلة معهم , لكن زوجي رفض السفر معي متحججاً بعمله ؛ فسافرت بمفردي ، لكني عدت سريعاً ؛ حتى لا يعتاد زوجي على غيابي، خاصة أنه سبق له الزواج قبلي . لم تكن عصبيته بالأمر الهين لكني اعتدت على الانصياع .

فتحت الباب بمفتاحي أردت أن أرتب المنزل قبل عودته من الدوام ، حتى يشعر باختلاف المنزل عقب عودتي . سمعت همسات ، وضحكات صادرة من غرفة اصبحت **لأمينة** الآن فتحت باب الغرفة فإذا بزوجي في سريره مع أخرى , كنت أخجل من رؤيته عارياً ، وهو لم يخجل من ارتكاب فعل كهذا بمنزلي لم ابدي تأثر، ولم أضربه أو أضربها ، اكتفيت بهرولتي إلى الإسماعيلية .

حاول ارجاعي مرات عديدة ، فكنت أقابل محاولاته بالرفض , لكني علمت أني حُبلى **بعلي** ابني ؛ فألح أهلي علي أن أعود ، فخضعت لضغطهم ، وعدت للمنزل .سرعان ما عادت الحياة لسابق عهدها , لكني تغيرت تركت كل المشاعر المرحة بالإسماعيلية ، وعدت القاهرة خالية إلا من جسد يستطيع تدبير أعمال المنزل ، وقبول دور الزوجة حينما يريد زوجي , وهو بدوره لم يكن طالباً لمشاعري أو عقلي لم يرد سوى جسدي فقط . **فمرت** الأيام ، وأصبحت ما أراده , لم أعرف إن كان قد حاول خيانتي مرة أخرى أم لا ، لكني أشعر أنه قد فعل . تقتل الخيانة مشاعر أي امرأة ؛ لأنها لا تخبرها سوى بأن لديها نقص بأنوثتها , وأنها لم تكن تقضي عمرها بجواره سوى أداة إمتاع , من ثم أهملها وذهب لأخرى , لكني لم أعد أهتم كثيراً ليفعل ما يريد.

. . . . . .

خرجت **أمينة** من غرفتها وجدت **آثار** بالشرفة شاردة الذهن اقتربت منها ، وضعت يدها على كتفها؛ فالتفتت **آثار** مذعورة.

- خضتيني .

نظرت **أمينة** من الشرفة على الشارع بنَفس مثقلة ، وبيدها الهاتف منتظرة أي جديد.

(.....)

مضى شهر على زواجنا , لم تغفر لي بعد...

لازالت تتهرب مني ، ولم أحاول الاقتراب منها أو مضايقتها ولو بكلمة حاولت إذابة ما بيننا ؛ فرتبت مع **أمي** أن تصحب **آية** لشراء أغراض من الخارج ,وافقت **أمي** ، وصحبت **آية** للخارج , غادرت المنزل متظاهراً بأني ذاهب للعمل ، لكني انتظرت إلى إن أخبرتني **أمي** أنهما غادرتا المنزل , هيأت الأجواء لأفاجئها ؛ فاختبأت حين دخلت **آية** الشقة ، وبيدي كارت كتبت بداخله

♡ . ادي النور فرصة يفتح قلبنا.

آسر اللي ملكته آية♡

كانت فَرحه كطفلة حين وقعت عيناها على المنزل المزين ، والشموع المضاءة في كعكة مرور شهر على زواجنا , حاولت إخفاء سرورها حين رأتني ؛ فوقفت أمامها، وركعت على ركبتي ، وقلت :

- بحبك

صدقتني ، فابتسمت فضحتها عيناها ، واتسعت ابتسامتها , لم تنطق فأردفت ,

- بقولك بحبك **"آية"**

خجلت فأسرعت إلى غرفتها ،لم تستطع فتح الباب , كنت قد أغلقته بالمفتاح.

- تعالي مش هديكي المفتاح غير لما تيجي نقعد شوية زي أي بني آدمين عايشين مع بعض .

جاءت وجلست بعيداً عني , ظلت صامتة , كانت غاضبة من شدة خجلها ,أشعلت التلفاز , تركت لها حق اختيار ما نشاهده , لم تطفئ شموع الكعك ، ولم تنطق لكني اكتفيت بابتسامتها ، ومضيت الوقت أمام التلفاز بصحبتها.

أفقت بالصباح فوجدتنا نائمان على نفس الأريكة , كنت ممدداً على الأريكة ، و**آية** نائمة مسندة الرأس على صدري , شعرت لوهلة أنها مسئولة مني حقاً . أخشى ألا أحافظ عليها , لم أرد إيقاظها فلم أتحرك , لم أكن أعرف لم تمتلئ الأفلام بمشاهد تجمع رجل وامرأة متعانقين ويستند أحدهما على صدر الآخر , لكني أعرف الآن شعوراً ممتعاً اشبه بتعانق الأرواح , كنشوة درويش فاض به العشق فأصبح كالسكير.

استيقظت **آية** من صوت ضحكي ؛ تنبهت لوضعها فهرولت إلى الغرفة ؛ فقذفت لها بالمَفتاح ؛ قد أحببت تلك اللعبة الدائرة بيننا

- خدي مفتاح الأوضة اللي بتهربي لها دايماً.

(أمينة)

اتعبها الانتظار ، والهاتف المغلق ، والخطبة ، وأبيها . كل الأمور تزيد من اختناقها . أخيراً رن هاتفها باتصال جديد من **عمرو** ؛ لم تجب فوصلتها رسالة منه .

- **ردي يا منمن عاوز أكلمك**.

اتصل بعد دقائق فأجابت :

- ألو .
- ايه يا حَبيبي , لازم أفضل اتصل كتير علشان تردي.
- ببقا مش فاضية
- أبوكي قالي هنخرج مع بعض كمان اسبوع.

أجابت بعقل أثقله الانتظار :

- كويس .
- - اصبري ، وهنخرج وقت ما احنا عاوزين , تحبى نروح فين ؟

- معرفش
- تيجي نروح المقطم ؟

(اجابت بانفعال) أنت قليل الأدب

- دماغك راحت لحاجات , متخافيش

قالت باستهزاء :

- هخاف من ايه يا دكتور **عمرو**.

ضحك بغرور:

- نعم ياحبيبي المؤدب , أنا **عمرو** بس
- أنا لازم أقفل.

قال بضيق :

- أنتِ مش مهتمة بيا ليه ؟ فيه ايه ؟
- مفيش لما أقابلك نبقا نتكلم , أنا لازم أقفل فعلاً , سلام.

ازدادت الأيام قسوة ،ستجبر على الانتظار لأيام أخرى ، لو أن **صابرين** تجيب , أو تستطيع الاطمئنان عليه سريعاً . لا تملك سوى الانتظار ، وخلق فرصة لزيارته ذاك اليوم.

(.....)

أصبحت أضحك حين تبتسم , انتظر العودة للمنزل لإكمال لعبة الهروب . لكنها لم تعد تهرب سريعاً كالسابق , أصبحت على طبيعتها يقتصر تحفظها على محاولة منعي من الاقتراب من غرفة النوم , وجهها البشوش فتح أبواب الرزق ؛ أوشكت على الانتهاء من اللمسات الأخيرة من مكتب الهندسة الخاص بي (مكتبي الأول). سمح لي **عم أمين** بعدم الذهاب للورشة حتى أستطيع الاهتمام بمكتبي ؛ فانتهى عملي في تجهيزات المكتب سريعاً . قررت العودة إلى المنزل بعد العمل ، لم أمر على **أمي** . تزورها **آية** هذا الوقت كل نهار ؛ أردت أن استحم قبل صعودها ؛ حتى

أستطيع إحضار ثيابي من غرفة النوم التي احتلتها **آية** ورمتني خارجها . دخلت الشقة فلم أسمع صوتاً ؛ فتأكدت من أنها بالأسفل . دخلت غرفة النوم اخترت ملابسي ، لكني أردت تجربة الجلوس على سريري الذي لم أغفو عَليه إلى الآن . لأجد **آية** أمامي لا ترتدي سوى منشفة ملفوفة حول جسدها بشعر مبلل ؛ نظرت لي باستحياء.

- أنت ايه جابك هنا ؟

سمعت دقات قلبها المتسارعة , لم أشعر بنفسي إلا وأنا أضمها ، وأغلق باب الغرفة .

(الممرضة صابرين)

لم تملك الجرأة على المرور من أمام تلك الغرفة ، منذ سنوات لم تمر من هذا العنبر دائماً ما تعطي عملها في هذا العنبر إلى إحدى زميلاتها . فاقت من شرودها على صوت **هادئ**.

- سبحان الله احنا في زمن المعجزات , والنبي الواد ده أمه بتحبه أوي ، ودعياله.
- واد مين!
- اللي فاق.
- آه , أمه شكلها دعياله أوى .
- بس هو لسه بيفوق ، وينام.
- اه بس مفيش حاجة تقلق , ربنا يشفيه
- أنا هقوم أشوف ورايا ايه قبل ما اخد لي كلمتين.

لم تعد كالسابق . خرج قلبها ، وعقلها عن السيطرة أصبحت ذكريتها تسرد طوال الوقت داخل عقلها ؛ فيذيب قلبها الحزن كحديد صدأ

يشبه طقس اليوم نفس الطقس منذ سنوات , لم تكن تَحتسي مسحوق الكاكاو منذ عهد مضى , لكن رغبة ملحه جعلتها تطلبه بمقهى المشفى ؛ لتريح عينيها من رؤية

مآسي مرضى فقراء ، وأطباء اعتادوا عدم إتقان عملهم سوى مع أغنياء القاهرة . أسندت رأسها على زجاج النافذة المغلق بجوارها , ارتشفت رشفة من مسحوق الكاكاو ذكرتها رائحته بجارها الذي لم تنساه ، ولم تحسن تناسيه لتعود لذاك اليوم حين أخبرها أنه أحبها لسنوات , صدمت بالبداية ، ثم جلست بجواره ، وبكت بشدة تهدجت أنفاسها كطفلة من بكائها الشديد , وبدأت في البوح

حكت عن طليقها وحبها الأول . كانت بالسادسة عشر من عمرها ، وهو بالرابعة والعشرين , كان يسكن بنفس الحارة ، كانت تمضى يومها خلف النافذة تنتظر رؤيته حين يذهب لعمله , كان موظفاً بإحدى الهيئات الحكومية . دائماً ما اعتقدت أنه أعلى قدراً منها لإتمامه تعليمه وحصوله على وظيفته وهي لم تكمل تعليمها , قد اكتفى والديها بتعليمها إلى المرحلة الإعدادية.

إلى أن أتى يوم سعدها . كان يوم الجمعة بعد أداء الصلاة , فعاد والدها من المسجد ، ومعه والد حبها الأول , قد زارهما ليخطبها لابنه .

وافق والديها سريعاً دون سؤالها ؛ لكن الأمر لم يزعجها ؛ فقد تمت خطبتها لحبيبها الذي حلمت به لسنوات , عاملها بود وحب شديد ؛ فكانت ملكة منح قلبها تاج السعادة أحببته بعنف , أحببته لحد رفض التفكير في ألا يقترن اسمي باسمه , أتى يوم الزفاف ، وقد اعتليت قصر أحلامي , لكنه كان اشبه بآلة هدم قاسية ، هدمت كل ما شيدته لسنوات , كانت تلك الليلة ، ليلة إعلان قلبها العصيان على هذا الحب تاركاً داخلها بذور أحزان رويت بكثافة .

(.....)

تحولت حياتنا لقصة مريحة ، وإن كانت **آية** ليست البطلة الوحيدة ؛ ولكنها أصبحت الأهم , حفظت تفاصيلها الدقيقة عن ظهر قلب , إن كانت ليست حبيبة القلب الأولى ، لكنه يحترم ما يشعر به تجاهها ، ويحترم ضرورة وجود مكان لها داخله , جرت الأمور جيداً ، ومكتبي الجديد خطى خطوات نحو النجاح ، فقررت استغلالها للعمل عملت معى ، ما فائدة سعيها حتى أتزوجها فلا تعمل تقاربنا كثيراً ,أصبحت تجمعنا أحاديث شيقة ، اقرأها ككتاب فتح لتوه , سارت حياتنا جيداً ما بين عملنا ، وسهرات سمر بشقة والدتي ، أسعدتني أسرتي الصغيرة .

أتى يوم الجمعة ؛ فتركت **آية** تعد الغداء ، وطرقت باب أمي لتناول الطعام معنا طرقت على الباب كثيراً فلم تجب ؛ حاولت فتح الباب إلى أن استطعت كسرة , لأجد أمي نائمة على سريرها حاولت إيقاظها فلم تجب ، ظننت أن السكري قد أرهقها ؛ ففقدت الوعي أسرعنا أنا **وآية** بحملها للمشفى ليخرج الطبيب ، وينظر لي بوجه خالي من التعابير قائلاً :

- البقية في حياتكم

نظن أن المال هام فنحزن لخسارته تشبهنا منازلنا فنحسنها باستمرار لتعبر عنا ؛ لا ندرك أن الخسارة الحقيقية هي خسارة بشر . أرواح ، ضحكات ، كلمات ، مواقف ، أحلام ، أسرار , أقدام كانت تسير ، وعين تبكي وتضحك , ثم لا شيء . سنوات عابرة من قلوب تحترق شوقاً , أصابتني أوجاع الفقد إلى الآن لم احتمل شوقي المتجدد لأبي ، لترحل أمي أيضاً , لو أننا نعلم برحيلهم ، لعانقناهم عناق طويل يشبعنا من عبيرهم لسنوات .

بعد أيام صمت وعبوس لا إرادي , جلست **آية** بجواري ، عانقتني فاجتاحني دفء مشاعرها

- سيرتها حلوة ، وأعمالها حلوة ؛ هنفضل نجيب سيرتها ، وسيرة أبوك ، وأبويا , هنترحم عليهم دايماً , هو بس الفراق صعب.

فتحت كلماتها الباب لبكائي فضمتني أكثر وبكيت وانتحبت ؛ حاولت **آية** تعويضي عن الأحبة الراحلون ؛ لم تستطع لكنها فعلت ما بوسعها أغنتني **آية** عن باقي البشر . مر عام على موت أمي سريعاً ، اعتدت رحيلها كما اعتدت رحيل أبي لكني لازلت أشتاقهم , مر شهران آخران , سبقتني **آية** للمكتب ، ومررت أنا على الورشة لأزور **عم أمين** ؛ ثم عدت المكتب . كانت **آية** جالسة على إحدى الكراسي ، بوجه شاحب خفت عليها ، فقلت بلهفة :

- لازم نروح لدكتور.
- مش لازم , لاء

فانفعلت من خوفي:

- مش لازم ازاي , لازم طبعاً.

لتتحول ملامحها إلى ابتسامة واسعة .

- أنا حامل .

روادتني مشاعر جديدة خوف ، وسرور ، وحب مشاعر مختلفة تجتاحك أهمها انتظار فرد جديد ، تخشى أن يصيبه مكروه منذ علومك بقدومه تنتظر ملامحه ، ضحكاته ، عناق براءته رائحته لحظات ما قبل الميلاد.

كنت قد أيقنت أن حياتي رسمها فنان ماهر بحب ، ليأتي الاتصال الملعون ، وأعجز عن الصمود فتهدم أسوار مقاومتي

(أمينـة)

ارتدت ثيابها ، وأسرعت حتى تستطيع الخروج من المنزل ، لكنها لم تستطع الهروب من أبيها ، لم يسمح لها بالخروج ، إلا حينما حضر **عمرو** صحبها لمقهى .كانت صامتة ، لم تستطع الهروب للمشفى , لم تعرف كيف حاله منذ فترة لم تزره ، ولكن عقلها لا يكف عن تذكيرها بوعدها أن تداوم على زيارته إلا أن يفيق

- .مالك , ساكته ليه ؟
- مش ساكته .
- تشربي ايه ؟
- مش عاوزه .
- أطلبلك ايه ؟
- ميه كويس.

قام بطلب عصير ليمون لها ، وقهوة لأجله , ثم قال مازحاً :

- اهو دكتور ، ومبيحافظش على صحته.
- علشان القهوة , القهوة مفيدة جداً ، منشطة ، مشكلتها بتبدأ لو زودت عن ثلاث فناجين في اليوم في الحالة دي بتقصر العمر ، وبتتعب القلب غير كده مفيدة جداً
- لاء ده حب بقا.
- ايه اللي حب ؟
- اللي أنتِ بتقوليه . عرفت اختار لما أحتاج استشارة هبقا أسئلك , مفكرتيش تدخلي طب.

- لاء , مبعرفش أمسك مشرط ، وأشوف دم ، وناس بتموت كل يوم ، واضحك كأن ده كله عادي.
- سنة الحياة الموت ، والأعمار بيد الله.

ذكرتها كلماته بحديث **صابرين** فقالت بانفعال:

- والمرضى اللي ملهمش ذنب , اللي بتقف حياتهم على أجهزة ، فبتشفوهم حالة وشوية أسلاك وبتسيبوهم يموتوا.
- أنا دكتور أسنان ، وأكيد بيبقى الأمل في علاج المريض ده مش موجود.

قاطع حديثهم الجرسون ، وضع أمامها العصير ، وأمامه فنجان القهوة ؛ فأرتشف رشفة من الفنجان ثم أعادة إلى الطاولة ، وقال باسماً :

- سكوتك حلو.

لم تعلق ، ولم ترفع عينيها لتنظر له ، صمتت فأكمل هو...

- مقولتليش , شايفة نفسك فين كمان عشر سنين ؟

قالها ثم ضحك ، فابتسمت ابتسامة صفراء لترضيه . تمنت أن يرن هاتفها معلناً وقوع مصيبة تجعلها تهرول للخارج .

- أنتِ مبتبصليش ليه ؟
- ببص أهوه , أنت عمرك ندمت على حاجة ؟

أجاب بعجرفة :

- لاء , حياتي تمام , اللي عايزني أنا موجود ، واللي ببعد عنه هو الخسران.
- وأنت مبتخسرش , مخسرتش ولا مرة ؟
- يعني , بس مفيش حاجة تستاهل ؛ وظيفتي كويسة , مرتاح , ولو على الحب فأنتِ هتعوضيني
- عندك حق .
- عارفة ، وأنا صغير كان ليا واحد صاحبي , كنت بحبه جداً . مرة اتخانقنا علشان بنت خصمته فترة , بس هو كان مهم....

انقطع صوته عنها ، شاهدته كفيلم صامت , أنقطع عنها جل ما يحيط بها , راقبت تعبيرات وجهه , إنسان بوجه بلاستيك , تعابير مرسومة يصطنعها ، كلمات أعاد صياغتها سابقاً , تمنت لو أن كارثة تضرب هذا المكان فتخرجها منه , لو أن الأرض تنشق فتبتلعها داخلها رأفةً بحالها.

، تحدث كثيراً ؛ فكانت تبتسم دون أن تسمع ما ينطق به ؛ فإذا به يلامس أصابع يدها ؛ فسحبت يدها ، ورمقته بغضب

- أنت خرجت معايا علشان كده ؟
- لاء طبعاً . بس أحنا مخطوبين ، وعادى أمسك أيدك. قولى بقا إنى مش فارق معاكى.
- يلا نروح
- أنا أسف . هنمشى بس نتمشا شوية.

أرادت **أمينة** إنهاء تلك الليلة سريعاً . فغادرا المقهى . حضر المقهى نقاشتهم . كما سجل جدالات ، ومشاحنات **آسر** وفتياته ، وحضر مقابلات **مَريم** ، وزوجها ، وضحكات أخرى بتفاصيل ، وأحاديث جديدة ستحدث مع زبائن جدد.

. . . . . .

(.....)

جاءني اتصال من رقم مجهول ، لكني أعرفه جيداً , ترددت لكني أجبت

- ألو ....

لأسمع صوتها لم يعد كالسابق زاهياً ، ومبتسماً ؛ أصبح أقل حيوية

- ازيك يا **آسر** ؟ .أنا **مَريم**.
- أنا تمام , وأنتِ

تحول صوتها لشجن لم أسمعه بنبرتها يوماً.

- الحمد لله (**تنهدت ثم أكملت)** أنا عاوزة أقابلك.

اجتاحني شوق عارم ؛ فألجمته.

- مش هينفع , أنا..

قاطعتني قائلة:

- عارفة إنك متجوز **آية** , عاوز أتكلم معاك ، وبس.

انتهت المكالمة بموعد للقائنا بمقهى لقاءنا المعتاد . حنين طيفها راودني بقوة لم يتوقف عقلي عن تذكر كل ما دار بيننا ، ويزعجني السؤال من جديد لما : خانتني بهذا الشكل ؟

قابلتها في المقهى بقلب خافق ، وعقل يزدري أمر خيانتي , اكتسبت القليل من الوزن , فزادت جاذبيتها بوجه ازداد توردا , ابتسمت في وجهي حين رأتني ، لكن بريقها أنطفأ ، أم أن عيني هي التي لم تعد مسحورة برؤيتها كالسابق .

جلست أمامها أحاول ألا أمعن في النظر إليها ، فأغرق في بحرها ، وأغرق **آية** معي , فقالت :

- ازيك , مبروك المكتب.
- الله يبارك فيكي .
- عارف سبتك ليه ؟
- أنا كنت فاكرك عاوزاني في حاجة مهمة.

أكملت كأنها لم تسمعني

- مش علشان محبتكش , أو كان فيك عيب ؛ اخترته هو علشان مضمون , مناسب بفلوس تفتح بيت ، و شوية حب هيخلوه يهتم بيا .
- مش فاهم برده , بتقوليلي دلوقتي ليه ؟
- علشان المضمون طلع ضمان خسران ، طلع قالب لحاجات متكررة , نفس الكلام كل يوم , نفس كل حاجة , ماعدا الحب.

رمقتها بدهشة ، ثم اعتدلت في جلستي ونظرت لها مبتسماً .

- فعلاً الحب بس هو المضمون .

استرسلت وكأنما غلبها شوق ممتزج بندم .فاجبتها بقولي

- عند **آية** مراتي مضمون حلو اوي ؛ طاهر شبهها , افتكر اللي كنتي عاوزاني علشانه قولتيه.

قلت كلماتي وغادرت المقهى ، إنها أول مرة لي أن أغادر مكان بداخله **مَريم** ، لم أعد أهتم بسماع المزيد من حديثها , لكني لم أشفى بعد , لازال فؤادي يهواها ، حين غادرتها كان قلبي يجلدني ، ويعاقبني بوجع حاد ، أدركت أني لازلت أهواها , لابد أن أغلق تلك الصفحة للأبد , لن أسمح لها أن تسرقني ، ملعون طيفها سلبتني قلبي ؛ فتوهمت بأن **آية** سكنته بدلاً منها.

. . . . . .

بوحت بما أردت , وتبدلت الأقدار.

(أمينة)

صحبها **عمرو** لكورنيش النيل ، باحت لمياه النيل بما بداخلها . حكت عن مريضها ، وعن الوعد الذي قطعته على نفسها ؛ وعن الطوق الملفوف حول رقبتها الذي يزداد ضيقاً بمرور الوقت.

انتهت من بوحها ورافقها **عمرو** للبيت بالموعد الذي حدده والدها . ضاقت لعدم قدرتها على الهروب لزيارة مريضها ؛ فعزمت على الذهاب صباحاً , انتظرت خروج والدها للعمل وغادرت المنزل ؛ لم تستطع **آثار** منعها , ذهبت لتحدد أي مصير قد اختير.

(.....)

تحولت الأجواء إلى شيء آخر. منذ ما يقرب من يومين ،و**آية** تتجاهلني , لم أحاول الضغط عليها لمعرفه السبب ،اعتقدت أنها أصابها ما يصيب النساء الحوامل ؛ فقد بقي على إنجاب طفلي وقت قليل , لكنها تتجنبني بالمنزل والعمل , أراها شاردة كثيراً ومهمومة , لكن الأمر ساء لحد أنها تتحاشى النظر لي ، يبدو على وجهها الحزن حين تراني ؛ فانتهزت الفرصة أثناء طريقنا للعودة من العمل للمنزل . وسائلتُها :

- مالك يا حبيبي ايه زعلك ؟.

ضحكت بشدة فدهشت وانفعلت أردت معرفة ما يضحكها.

- بتضحكي على ايه ؟

انتهت من ضحكها ثم تبدل وجهها لحزن شديد.

- عليك ، وعلى اللي إحنا فيه ؟
- أحنا مالنا؟ ما احنا زى الفل.
- لما أنت بتحبني **مَريم** قابلتها ليه ؟ كتبت عن حبك ليها وسبت الورقة في بيتي ليه؟ مخليني جنبك ليه ؟
- علشان بحبك.

فأضافت ساخرة :

- كنت ممكن أقول معلش , بس اللي كتبته في الورقة معناه إنك تعيس من كتر ما بتحبها ، ومش عايزه ابقى سبب تعاستك , لو سمحت طلقني
- مقدرش أطلقك , مقدرش.. نوصل البيت ، وهفهمك كل حاجة.
- أنا تعبت ،وزهقت . ربنا يسامحك على القرف ده كله.

زدت من سرعة السيارة ؛ أصابتني جملتها الأخيرة ، لكني لا أستطيع الابتعاد عنها , كتبت الورقة لأتخلص من **آثار مَريم** الساكنة بداخلي بتلك الكلمات . نظرت **أية** من زجاج السيارة إلى المباني التي تمر سريعاً ، ثم بدأت في البكاء بكت بشدة . آلمني تسببي بأذيتها إلى هذا الحد فزدت من السرعة ، ونظرت لها محاولاً تهدئتها :

- أنا آسف , مستاهلش عياطك , كفاية عياط.

لم تلتفت لي استمرت بالبكاء إلى أن توقفت عن البكاء بعد وقت طويل، لم أتحمل زدت من السرعة

؛ أردت أن نعود المنزل وأترجاها أن تصفح عني .

لكن القدر لم يمهلني لأفعل ذلك ؛ ظهرت سيارة من العدم لم أستطع تفاديها , لأستعيد وعيي على سرير بالمشفى ، وممرضة تداويني :

- **آية** فين ؟

قالت وقد انتهت من مداوتي.

- **آية** مين ؟
- مراتي اللي كانت معايا.

حاولت الوقوف فمنعتني.

- أهدا , أهدا لو سمحت.
- هدا بس أطمن عليها.

نظرت لي نظرة رأيتها مرتين سابقاً ،ثم قالت :

- المدام **آية** تؤُفيت .... و الجنين راح معاها.

لم هذا العقاب القاسي؟ ، أبلغت أخطائي هذا الحد لأتسبب في مقتل زوجتي وابن الذي لم ألمسه بعد ، ورجل غريب كان يقود السيارة التي ظهرت أمامي , أعود أنا معافى إلا من جرح صغير بجبيني؟

خارت قواي سريعاً ؛ لم يعد لدي ما أجاهد لأجله , أصبحت وحيداً لم تؤذني يوماً لأقتلها وأعيش أنا , لم ترحل سعيدة , ماتت حزينة , عاقبها القدر لأنها وافقت على الزواج مني , لم أستطع دخول المنزل ،عشت بالفنادق ، وانهارت تجارتي فخسرت المكتب ,ونفدت نقودي فاضطررت إلى العودة للمنزل , لم تمضي الليالي في شقتنا كليل بانتظار الفجر , كانت بركان من عذاب الضمير يثور بداخلي , رأيتها رأيت ليلة الحادث بحزنها وكلماتها ؛ أردت إيقاف هذا العذاب للأبد .

انتهى بي الأمر واقفاً على سور الشرفة ،ودعت الدنيا للأبد . تختلف الحياة من أعلى وأنت على أعتاب الموت لا تشغلك التفاصيل جل ما تريده وسيله للشعور بالراحة ، تود لو تجد ما يصل للعقل فيوقفه و يجعل من رأسك مجرد كرة ثقيلة تحملها أعناقك ؛لتعيش حالة من الهدوء والصمت. دائماً ما كان الموت أفضل الوسائل وأسرعها للراحة.

البداية من جديد

ليس كل ما يحمل اسم البداية يعني الأفضل ؛ فهناك بدايات تحمل أقدار أخرى

(أمينة)

وقفت أمام غرفة العناية ، لم تستطع النظر من زجاج الغرفة ؛ فقررت الدخول ، مدت يدها ، وأمسكت مقبض الباب و فتحته ببطء جعلها تدرك أنها تعيش أصعب لحظات عمرها , دخلت الغرفة , رفعت عينيها لتجد السرير خالياً من جسد مريضها تيقنت من أن مريضها فارق الحياة , جلست على بلاط الغرفة مهزومة ، لم تمكنها عيناها من البكاء , لكن قلبها انتحب , كان مجهول الهوية ، لم تعرف صوته لم تسمعه يتحدث ؛ شعرت وكأن روحها غادرتها مع تركه الحياة.

بعد وقت ليس بالقليل فتح الباب لتدخل **الممرضة صابرين** وتحمل بين يديها غطاء للسرير ليستقبل المريض الجديد . وقفت **أمينة** حين رأتها لترحل إلى منزلها ،لكن **صابرين** بادرت بالحديث.

- أنا اتصلت عليكِ كتير ، وبعت لك رسالة علشان تعرفي إنها أنا.
- وأنا كلمتك كتير الموبايل كان مقفول.

قالتها **أمينة** بعتاب فكان جواب **صابرين**

- الموبايل اتسرق مني فالخط راح برقمك.

أومأت **أمينة** برأسها بابتسامة حزينة ؛ واتجهت لخارج الغرفة .

- أنتِ جاية **لآسر** ؟

هزت **أمينة رأسها نافية** ، وفتحت الباب لتودع الغرفة والمشفى ، فقالت **صابرين** كمن تعرف حقيقة ما بين **أمينة** ومريضها

- أنتِ نسيتي اسم قريبك اللي كنتي بتزوريه دايماً "آسر" ؟

التفتت لها **أمينة** بفرحة عارمة

- هو عايش؟ مامتش صح ؟
- اه عايش , فاق من يوم ما بعتلك الرسالة , بس لسه عقله بيتضبط بينام كتير ، و بيخرف شوية . بس ده طبيعي , هو في غرفة 18 روحيله.

اتجهت **أمينة** إلى غرفته الجديدة ؛ فأوقفتها **صابرين** قائلة :

- هاتي رقمك.

كتبت **أمينة الرقم لصابرين** ، واتجهت لغرفته الجديدة , كانت سعيدة جداً، وقفت أمام غرفته أرادت فتح الباب لكنها لم تفعل ؛ شعرت بأنه غريب للمرة الأولى .

فتركت المشفى ، ورحلت لبيتها ؛ وهي تعلم أنها لن تعيد الكره مرة أخرى ؛ ليبدأ هو حياته مع من يعرفهم ، أما هي فلديها حياة لن تشارك في صنعها.

(آسر)

- حرك دراعك.

قام **آسر** بتحريك ذراعيه ، وأصابع يده ، شعر بألم خفيف بظهره .

- حرك رجلك اليمين.

حركها **آسر** قليلاً ؛ فشعر بألم شديد ؛ فقال الطبيب :

- خلاص ريح رجلك , هنعملك بس آشعة بسيطة .

ثم ألتفت الطبيب إلى الممرضة

- اديله مسكن خفيف كل سبع ساعات.

قالها الطبيب ثم غادر الغرفة ؛ فاقتربت الممرضة من **آسر** لتضع له الدواء بالمحاليل.

- أنا مقولتش يومها حاجة , وكأن الدواء هيسكن بجد

كانت الممرضة انتهت من دوائه , فالتفتت إليه.

- لما تخرج أبقا روح لدكتور نفسى . علشان دي مستشفى حكومة دكاترتها النفسيين مش أد كدة.

رمقها بعينيه ، ولم ينطق فقالت الممرضة :

- أنا مقصدش حاجة , أنا خايفة عليك بس

نظر لها دون أن يجيب ؛ فغادرت الغرفة . فتحت كلماتها أبواب الماضي الذي بدأ يعرض ذنوبه ، وأخطائه كشريط . انتهى به لمحاولة انتحاره .

حين يقرر شخص الموت يستحضر العقل كل الأسباب التي تجعله يتوقف عن هذا الفعل . فيذكرك العقل بالأشخاص ، وسبل قضاء حياة أسعد مع من يهمنا أمرهم .

لكنه لا يملك سوى نفسه ، وعذاب ضمير ؛ فكان من السهل أن يلقى جسده من أعلى السور.

(أمينة)

لم يتوقف عقلها عن ترديد اسمه **"آسر"** ،ولم تمنعها ليلة خطبتها من التفكير به وباسمه جالسة بجوار رجل لم يجمع بينها وبينه قلب ولا عقل علاقة جديدة تشبه أجهزة تنفس لا تعمل ، ومريض بدأ يحتضر, تحتم عليها الخروج برفقة **عمرو** إلى أحد الأماكن العامة للاحتفال بخاتم وضع في اصبعها لتوه.

جلست أمامه بفكر شارد , و وعي غير حاضر، وكأن حجاب وضع على قلبها فمنع اختراق أياً من مشاعر الفرحة . بعد قليل من الوقت لامس **عمرو** يدها فسحبت يدها منه ،وقالت بغضب :

- ايه ال بتعمله ده ؟
- مش اتخطبنا ، وبعدين أنا بحبك ،ومفيهاش حاجة لما امسك ايدك , المفروض يبقا فيه أكتر من كده بكتير.
- أنت بتقول ايه . هو ايه ده مين قال إن لازم يبقا فيه كده ، خلينا محترمين

مد يده ، لامس كتفها ليهدئها قائلاً :

- أنا آسف .

فزاحت يده بقسوة ؛ فانفعل لكنه حافظ على انخفاض صوته حتى لا يلفت انتباه المارة

- أنتِ مكبرة الموضوع هو أنتِ هتفضلي كده حتى بعدين.
- بقولك ايه يلا نمشى.

قالتها ووقفت فقال :

- اقعدي خلاص , ولا أنتِ خايفة مني .

أجلسها عنادها بعد تلك الجملة , فقال ليهدأ الأجواء :

- أنتِ بتحبي أبوكِ .
- ايه السؤال ده ؟

- اصلي بحسك بتخافي منه , بس عموماً كل الرجالة طباعهم صعبة حبتين.
- والستات.
- الست دي حاجة حلوة اتخلقت علشان تتحمل الراجل .

نظرت بعدم رضا، فقال بغزل

- وأنتِ لازم تتحمليني يا حَبيبي.

لم تتفاعل معه ؛ شرد عقلها إلى مريضها , حاولت أذنها تخيل صوته أو تخيل رؤيته وهو يتحدث ، أو شكل عينيه حين يضحك . غلبتها رغبة جارفة أن تذهب لتراه ؛ لتعرف صديقها المجهول . أرادت الإسراع إلى المشفى الآن لكنها لن تستطيع لا تملك سوى الانتظار من جديد.

(آسر)

لم يكن استعاد ذاكرته بالكامل بعد غياب وعيه ، وبعض المواقف لكنه يتذكر جيداً أمه وأبيه ، ولم يغفل للحظة عن أي تفصيله تخص **آية** , وهناك صوت اعتادت اذنه سماعه , لم يسمعه منذ أن أستعاد وعيه ؛ فظن أن عقله هو من أصدر هذا الصوت أثناء نومه ، لكنه يشتاق هذا الصوت الأنثوي يريد أن يسمعه ولو بمنامه .

(آثار)

تناولت قهوتها الصباحية، لتستعد ليوم إجازة زوجها الأسبوعية لتحتمل شجاره وجداله لتجد **أمينة** أمامها ترتدي ملابس الخروج ، ويظهر عليها الإجهاد, فسألتها :

- أنتِ راحة فين ؟
- هتمشا شوية والنبي يا ماما ما تمنعيني .
- طاب وأبوكِ ؟

- هتعرفي تلاقيلي عذر.
- طاب راحة فين؟
- هقولك لما أرجع .

قالت **أمينة** كلماتها ثم أغلقت باب الشقة ، وذهبت فجلست **آثار** مكانها باتت متأكدة من أن تلك الزيجة تعني تعاسة أبدية **لأمينة** , لن تسمح بأن يكتب على ابنتها ما كتب عليها . دقائق واستيقظ زوجها , اغتسل ثم عاد وجلس بجوارها كانت شاردة تفكر بما ستخبره به إن سئل عن **أمينة** , فنظر لها وقال بهدوء يختلف عن ما اعتادت منه :

- مالك ؟
- مالي ؟ !
- وشك مقلوب , ايه مبتحبنيش أصحا ؟

التفتت بكامل جسدها تجاه زوجها ، وعلى وجهها تراكمات الأعوام وسألته :

- محدش فينا عارف التاني بيحب ايه ، وأهو العمر قرب يخلص.
- لاء أنا عارف أنتِ بتحبي القهوة حتى شارباها من شوية ، وأنا بحبك أنتِ .

ضحكت على زوجها الذي استيقظ شخصاً آخر ،ولكن طريقته لم تسعدها بل أحزنتها شعرت باختلافه لكن دون جدوى , قد انتهت فرصة التعديل فالأشياء التي تأتي متأخرة وإن كانت حسنة لا نشعر بها.

(الممرضة صابرين)

استيقظت من نومها على صوت طرقات ورنين جرس على بابها , ارتدت ملابسها سريعاً وغطت رأسها ، وفتحت الباب ،لتجد صاحب العمارة هو الطارق.

- شقة جارك بقا عليها خمس شهور متأخرين.
- اديني كام يوم بس.
- معاكي لبعد بكره يا الفلوس يا سكان ما هيصدقوا يجو يسكنوا.

قال كلماته ورحل , ثم دخلت شقتها وأغلقت الباب وجدت داخل محفظتها أربع مئة جنيهاً ، إذا دفعتهم للإيجار لن يكفي سوى لسداد شهر واحد من الإيجار المتأخر .

وكيف ستعيش؟ فكرت ببيع بعضاً من أثاث منزلها , ولكن لم يبقا سوى أريكة تجلس عليها ، ومنضدة صغيرة تأكل عليها ،وسرير في غرفة نومها . لا تملك سوى قلادة صغيرة لا يمكنها أن تفرط بها ، جل ما تستطيع فعله هو أن تذهب إلى عملها ؛ لعلها تجد شخصاً تقترض منه بعض المال ، أو تجد سبيلاً آخر لدفع دينها والاحتفاظ بالشقة الأخرى ، وأن تترك شقتها لتسكن بشقة جارها.

(أمينة)

وقفت أمام المشفى ، اليوم هو الجمعة ولا توجد زيارات سوى الرابعة عصراً والساعة الآن ماتزال العاشرة . أتقف بالشارع كل هذه الساعات ،أم ترحل ؟ قررت أن تحاول إيجاد وسيلة للدخول وألا ترحل .

(آسر)

غادر سريره للمرة الأولى ،خرج من غرفته متكئاً على الحائط ، استند بيديه على السور وجد في النظر إلى المارة خارج المشفى ؛ وسيلة جيدة لإشغال عقله . أمام باب المشفى كان يقف بعض الأشخاص ، وفتاة واقفة يبدو من تحركها بخطوات بطيئة ذهاباً وإياباً أنها من الأشخاص الذين لا يطيقون الانتظار ، استرسل تفكيره فيما تنتظره ؛ راقب بعينيه الفتاة والمارة الآخرين ، لا يستطيع رؤية ملامحهم جيداً بسبب المسافة بين غرفته وباب المشفى .

سرعان ما ذكرته تلك الوقفة بوقفته على سور شقة أمه ، وإلقاء جسده من الأعلى .

الأمر لا يتجاوز بضع ثوانٍ ما إن تلقي جسدك إلى أن يرتطم بالأرض . خلال تلك الرحلة القصيرة ترى حياتك كشريط قصير يجمع أهم اللحظات و أسوأها ، شاهد خلال سقوطه **أمه وأبيه** وآخر ما رآه حين ارتطم جسده بالأرض منظر **آية** ودمائها حين فاق بالسيارة في حالة ما بين الوعي والإغماء ، كانت الدماء تغطيها

تقريباً . آلمه ما أصابها بسببه . كان وجع ارتطام جسده بالأرض قوي لحد الشعور بأن جزء منك ينفصل عنك وعظامك تتكسر؛ فأصبح في تلك اللحظة جريح جسد ،وعقل , وروح.

أصابت **آسر** رجفة خفيفة ،زاد معها ألم قدمه وظهره ،كاد يسقط أرضاً لم تحمله قدميه ؛ فأستند على السور . رأى الأشخاص خارج المشفى ، والسيارات أشكال ضئيلة ضبابية الرؤية ؛ فعاد لغرفته

(**أمينة**)

انتهت المهلة التي حددتها ، ولم تجد سبيلاً لدخول المشفى لم يسمح لها الأمن بالدخول إلا بموعد الزيارة المحدد ،تجاوزت الساعة الحادية عشر ، فوضعت هاتفها بحقيبة يدها ،واستدارت باتجاه الشارع لتعود أدراجها ، لكن **الممرضة صابرين** ظهرت أمامها مبتسمة اقتربت منها ، وصافحتها قائلة :

- ازيك ؟
- تمام . أنا معرفش اسمك.
- أمينة
- حلو اسمك , كنتي جاية **لآسر** ؟
- اه
- تعالي هدخلك.

استطاعت **صابرين** إدخال **أمينة** دون عناء ، كانت **صابرين** مبتسمة لكن بسمتها لم تخفى حزنها. لما لا يبكى البشر حين يحزنون؟ لما لا يصرخون ويبكون ؟ أو يقولون ما يريدون قوله لأي كان ؟ لما نغلف أحزاننا بابتسامة كاذبة ؟ توقف المصعد ، غادرت **صابرين** المصعد وتبعتها **أمينة** , أشارت **صابرين لأمينة إلى** غرفة **آسر** , اتجهت **أمينة** بخطوات بطيئة إلى غرفة **آسر** , ما إن وصلت إلى الغرفة خلعت خاتم خطبتها ووضعته في حقيبتها ؛ لم تعرف سبب لفعلتها ، ولكنها أرادت ذلك ففعلته , دقت الباب بأصابعها فجاءها صوته من الداخل ،ذكرها صوته بأمواج البحر التي لم تسمعها عن قرب إلى الآن . قال :

- ادخل .

تملكها الارتباك ،خفق قلبها , أرادت العودة من حيث أتت ؛ لكن الباب فُتح , نظر لها وكأنه يحاول تذكرها خشي أن تكون معرفة قديمة قد نسيها , رمقها بشدة ؛ فتلعثمت ثم أخرجت حروفها بصوت خفيض و ارتباك شديد.

- أنا... **أمينة**.

لم يعرفها بعد لكنه يعرف صوتها ، نظر لها هز رأسه مرحباً

نظرت هي للأرض لم تستطع النظر لعينيه أكثر , يظهر في عينيه شتات أمره ، لكن نظرته حميمية لحد يشعر بالأمان . قالت بارتباك وخجل :

- أنا كنت جاية لقريبتي باين دي مش أوضتها.

استدارت لتغادر الغرفة ؛ فمشى باتجاهها بخطوات بطيئة . أشعرتها نظرته تلك المرة بأنها أمله الوحيد ، أخبرها بنظرته أنها آخر أطواق النجاة ، وقال بصوت مثقل كعقل صاحبه.

- أنتِ تعرفيني يا **أمينة ؟**

هربت من عينيه ، وقالت بصوت هارب :

- لاء معرفكش

قالتها وغادرت الغرفة ، أما هو بقي ساكناً بمكانه يعرف صوتها لابد أنها تعرفه لكن لما تهربت منه ، أأصابتها لعنة الاقتراب منه هي الأخرى ؟

ما إن دخلت أمينة المصعد لَم تتماسك أكثر ؛ جلست على أرض المصعد وبكت من خفقان قلبها الشديد .

(الممرضة صابرين)

لم تعد غرف المشفى كالسابق ، أصبحت خالية مرضاها الأحياء يشبهون الموتى وكأن الموت يحدثهم عبر الهواء قائلا' **لا شيء باقٍ للحياة كل السبل نهايتها الموت'**

لكن غرفة **319** جذبتني أردت تذكر جاري بداخلها . لم أمر أمامها منذ سنوات . تشعرني تلك الغرفة بأن العالم خالياً إلا منه ؛ فهربت منها ومنه لسنوات ولكن ها أنا الآن بداخلها ، وأجلس على سريرها وكأنها حين فرغت من مرضاها كنت أنا

المريضة الأحق بهذا السرير . على هذا السرير بكيت وبحت عما بداخلي أذكر تلك الليلة حين أخبرت جاري عن ذكريات ليلة زفافي من طليقي , أذكر جيداً ما قلته وأحفظ معالم وجهه , نظراته , كل ما بدر منه آنذاك .

يوم زفافي . قبل الغروب كنت أستعد في غرفتي بمنزل أهلي ، اختاروا أن اتزين بالمنزل فلم أعترض , سمعت أصواتاً كثيرة في الخارج فلم أهتم , لكن الصوت لم يكن صوت غناء أو أحاديث أفراح ، كان جدال تطور لشجار بين أشخاص ؛ فتحت باب غرفتي وخرجت , كان الجدال بين أمي وأبي ورجل رأيته قبلاً . جاء مدرستي ذات مرة و أخبرني أنه صديق أبي . كان يتأملني .

حين رأوني صمتوا وأدخلتني أمي الغرفة , وقالت:

- أنتِ عروسة مالك ومال كلام الرجالة.

لم يشغلني كثيراً ما يحدث خارجاً ؛ كانت فرحتي تغمرني لكن شيء خفي يسيطر على أجواء الحفل , تظهر أماراته على وجه أمي وأبي ، وقليلاً ما كان زوجي يشرد ويبدو عليه الغضب . انتهى الزفاف ، ودخلت شقتي للمرة الأولى , لم يكن يجب على العروس دخول شقتها سوي ليلة الزفاف . حين خطوت بيتي بقدمي اليمنى لأول مرة شعرت أنني حظيت بمملكتي ، أصبحت حرة كفاية لأكون من النساء ذوات القرار القويات بما يكفي لتحمل المسؤولية . حفظت كل ركن في الشقة بعيني, فرحت بحسن تنظيمها وقررت بعد انتهاء إجازة زوجي أن أعيد ترتيب مالا يعجبني , أما هو فأزداد غضبه منذ بقائنا بمفردنا , اقترب مني فتدللت كعذارى الكون وابتعدت عنه وخرجت إلى الصالة ؛ فلحق بي وجذبني بقوة إلى داخل الغرفة حاولت دفعه برقة ليبتعد عني ؛ لكنه عاملني بعنف , آلمتني ذراعي تركها كانت قد تورمت قليلاً ؛ سألته حائرة :

- أنت بتعمل كده ليه ؟

رمقني باستهجان ثم قال:

- قوليلي بقا أنتِ محترمة ولا متفرقيش عن أمك كتير.

لم أفهم ما قال لم تفعل أمي يوماً ما يشينها ،ولم أرى منها سوءاً ليسبني به يوم زفافي فقلت :

- ايه ال أنت بتقوله ده ؟

لم يجب جذبني بعنف مرة أخرى ، ولم أستطع مقاومته . ما إن تأكد من عذريتي قام عني ؛ شعرت بالاشمئزاز للمسه لي ، أحسست بأنني تعريت أمام رجال الكون أجمع , أحببته لسنوات ، وتزوجته لأكتشف أنه غريب عني أكرهه وأكره قدري

الذي جمعني به , انتظرت الصباح بفارغ الصبر لأسأل أمي عَما قيل عنها ؛ لأعرف سبب قوله هذا الكلام ؟

(أمينة)

دخلت **أمينة** المنزل تاركةً قلبها ينتحب بالمشفى ، دخلت غرفتها لم يوقفها أبيها ، أو يسألها عن خروجها ؛ أخبرته **آثار** أنها كانت برفقة **عمرو** ؛ فلم يعلق أو يعترض . دخلت غرفتها وأغلقت الباب , لم يتوقف عقلها عن التفكير , عرفت اسمه منذ أيام ورأته منذ أقل من ساعتين لكنها تريد النظر لعينيه إلى الأبد , هتان هما العينان اللتان يمكنها الاستيقاظ كلَ صباح وتنظر لهما لتشعر بالاطمئنان ، تمنت لو أن ماضٍ واحد جمعهما يوماً ، كان لقاءها الأول للحياة في آسرها.

قاطع دخول **آثار** سيل الأفكار داخل عقل **أمينة**

- عمرو بره قاعد مع أبوكِ.

خرجت من الغرفة بعد أن أعادت ارتداء خاتم الخطبة , تنفست بقوة لتستمد من الهواء طاقتها ثم خرجت إلى عمرو كان جالساً بجوار أبيها ، وآثار بالمطبخ تعد شراب الضيافة ، جلست أمينة وكان عمرو يقول:

- معلش يا عمي مش هتتكرر تاني ، أنا خدتها بس علشان كانوا عاملين لي حفلة صغيرة في المستشفى فمكانش ينفع أحضرها من غير خطيبتي.

قال كلماته ثم نظر لها بحدة . لم تجدد سبباً لخلق قصة كان يستطيع إخبار أبيها أنها لم تكن بصحبته ولم تحدثه منذ أيام ليثبت ضعفها وخطئها قال والدها:

- أنا هقوم اعمل تليفون وأجيلكم.

غادرهم أبيها ، فقال بضيق :

- أنتِ ليه مفهمه أهلك إنك كنتي معايا ؟
- أنا مقولتش هما اللي فهموا كده ، وليه كدبت ما أنت كنت تقدر تقول إني مكنتش معاك ؟
- علشان ميضيقوكيش ، وبعدين أنا خطيبك فالطبيعي لما تخرجي تبقي معايا.
- وليه طبيعي يعني ؟
- علشان دبلتي في ايدك.

- وأنت المفروض تقولي كل حاجة بتعملها.
- لو سئلتي هقولك.
- طاب ما أنت لو كنت سئلت كنت قولتلك.

أصدر صوت طق طق بفمه وأضاف

- أنتِ المفروض تستئذنيني أنا هبقى جوزك الطبيعي إن أنا الراجل.

رأت أباها في **عمرو** فضحكت للقدر السيئ الذي ينتظرها برفقة هذا الرجل فأزداد غيظاً من ضحكها فقال:

- ايه قلة الذوق دي أنتِ بتضحكي وأنا بتكلم.
- اه أنا قليلة الذوق ، ومش هينفع نكمل .
- على راحتك.

قال رده ، وهو بطريقه للخروج من المنزل , ما إن خرج عاد أبوها وسألها.

- هو ماشي مضايق ليه ؟

شعرت بالخوف لكن أجابت :

- قلت له مش هتجوزه , أنا مش عاوزاه.

صفعها وقال:

- هو أنا مت بتتكلمي وتقرري أنتِ , تعالي يا ست **آثار** شوفي تربيتك.

لم تبكِ أصابها سرور غريب لأول مرة تغضبه لقد نجحت بمضايقته لترد له بعضاً من أفعاله , اكتشفت أيضاً أنه جبان لا يقدر على التفكير كعاقل يثور بسذاجة طفل فيتحول ليد تبطش بدلاً من عقل يفكر.

(الممرضة صابرين)

طرق أمي وأبي الباب , أسرعت وبدلت ملابسي مغادرةً الأرض التي نمت عليها منذ الأمس , خرجت مسرعة قبلت أمي وصافحة أبي ، وسحبت أمي من يدها ودخلت بها غرفة النوم ، واغلقت الباب أخبرتها ما قاله ،فصمتت ثم نطقت بما لم أتوقع سماعه يوماً , أخبرتني أنها ربتني لكنها ليست من أنجبتني , أمي الحقيقة أنجبتني بعد ارتكابها الفاحشة مع أبي ،وماتت بعد ميلادي مباشرة.

- وبابا مقاليش ليه ؟
- ما هو مش أبوكِ هو ابن خالة أمك و أبوكِ اللي كان موجود أمبارح لما كانوا بيتخانقوا على مين يبقا وكيلك في كتب الكتاب.
- وكان فين كل السنين دي ؟
- كان في السجن .

لم أستطع التفكير صدمني ما عرفته . أنا ابنة خطيئة ، وأبي سجين . حين عدت إلى رشدي سألتها : كيف عرف زوجي بهذا الأمر؟ أخبرتني أن إحدى المدعوات جاءت لتشاركها في تجهيزات الزفاف ، وحين حدث الشجار لم تستطع إخفاء الأمر عنها وهي من أخبرته وبمنتهى الوقاحة أخبرتني أنها نقلت ما حدث إليه ، وأنها اندهشت من أنه لا يعرف.

مرت سنه على زواجي ، وكرهي له يتضاعف يومياً . أجبرني على العيش معه أن لا ملجأ لي , تأخر حملي فحملني الذنب ولم يتوانى في تعنيفي لهذا الأمر . صحبني لطبيب فطالبه الطبيب بإجراء بعض التحاليل فلم يقبل ؛ لأنه يرى أنه سليم ولابد أن العيب مني وليس منه . بعد هذا الأمر ازدادت علاقتنا سوءاً أصبح يضربني لأتفه الأسباب . مر عام جديد دون إنجاب ؛ ازداد فظاظة عن ذي قبل وتزوج بأخرى لتنجب ؛ فهربت من منزله لمنزل من قاموا بتربيتي ، لم يكن مرحب بي من قِبَلِهم ، لم أُلم أحد يكفيهم تحملي لسنوات . اضطررت للعودة لمنزله ومشاركة زوجة أخرى معيشتي . علمت حين عدت أنه يخضع للعلاج من أجل الإنجاب , لم أجد سبب لرفضه القيام بذلك حين كنت زوجته الوحيدة ,كنت خادمة جيدة لزوجته التي لم ترتكب أمها إثماً يوماً . فحملت بطفل وهي لم تحمل بداية الأمر لكنها لحقت بي سريعاً وأنا بالشهر الرابع . كانت ترى أن المنزل لا يتحمل زوجان ؛ فكان يجب التضحية بإحدانا وكنت أنا الضحية . عدت بثيابه من عند المغسلة , فتح لي الباب ، وانهال علي ضرباً وسباً , لم أفهم سبب ذلك إلا حين استعدت وعيي بالمشفى وقد خسرت طفلي (قتله أباه) . أخبروني أن زوجته الأخرى قالت له بأني على علاقة بصاحب المغسلة ، هو لم يسأل أو يتأكد لأني بالطبع كأمي . طالبته بالطلاق وفعل ؛ لم يعد لي ملجأ بحثت عن عمل إلى أن وجدت العمل في المشفى كممرضة ، ووجدت مسكناً قريباً منه , كنت أعمل وأعود منزلي وأغلق بابي هرباً من البشر .

حين انتهيت من سرد قصتي كنت أبكي ، فربت على كتفي ، وابتسم قائلاً:

- أنتِ مدتنيش دوا قلبي حالتي هتتأخر بسببك.

ابتسمت ،وكانت آخر دموعي لوقت طويل . ودعت الغرفة وعدت لمنزلي

(آثار)

تعيد الأحداث نفسها من جديد , أجبرها أبوها على الزواج من زوجها في السابق ، ويحدث نفس الأمر مع **أمينة** , بلاد الشرق تجعل من نساءها هبة ومجرد شيء يمتلكه أب ثم زوج . جلست بجوار **أمينة** بعد أن صفعها والدها , جريئة أمينة لَو أنها مكانها ما كانت لتَفعل ،أخبرت **أمينة** أنها لن تسمح بإجبارها على شيء لا تريده ، فأومأت **أمينة** برأسها إيجاباً لكنها تعلم جيداً أن **آثار** لا حيلة بيدها سوى مواساتها , بعد أن اطمأنت آثار على ابنتها انتظرت زوجها إلى أن عاد ، كان هادئاً وكأن شيئاً لم يكن , تبعته لغرفة النوم , بدل ثيابه ، و ارتدى ثياب النوم ، ثم جلس على السرير ليخلع جواربه ، كان يدندن بصوت منخفض . فقال لها:

- هتفضلي بصالي كتير روحي اعملي العشا.
- مش هعمل حاجة.

رتب وسادة رأسه للنوم ، وأزاح الغطاء ومدد جسده على السرير جاذباً غطاءه وقال بهدوء :

- أحسن أهو الواحد ينام خفيف , اقفلي الباب وأطفي النور ، وجهزي عشا حلو بكره علشان **عمرو** وأبوه هيتعشوا عندنا .
- هي مش **أمينة** قالت له مش هتتجوزوا
- **امينة** تقول براحتها , دي بنت ناقصة رباية.
- ما بناقص منه ما العرسان كتير.
- اصل أنتِ فقرية أنتِ وبنتك.

ورفع رأسه ونظر لها محذراً وقال :

- روحي رتبي للعشا.

اطفأت الإضاءة ، وأغلقت الباب.

خمسون عاماً من العجز قتلوا ما بداخلها من حياة ، كانت تحلم أن يأتي اليوم ،وتنهي تعليمها ، وتعمل كمضيفة جوية , وتسافر لأرجاء العالم , كانت تعتقد أنها ستقابل حبها مصادفة كمصادفة لقاء القَطار ، ولكنها انتُشلت من كل هذا ،ووضعت في هذا البيت مقيدة بأغلال ؛ فوضعت أحلامها داخل صندوق العمر ، وانتظرت أن تكبر **أمينة** ويكبر **علي** ويحققوا أحلامها ليكون القدر انتصر لها . ولكن ها هي الآن

ابنها خارج البلاد لا تدري إن كانت ستتمكن من معانقته قبل موتها أم أنه لن يعود إلا ليحمل نعشها يوم وفاتها . **وأمينة** ستلاقي المصير نفسه , لكنها يجب أن تمنعه من التحكم بمصيرها. أمضت ليلها بجوار النافذة ، ذكرتها ليلتها بطفولتها حين كانت تشعر بالسعادة لهطول الأمطار ؛ فتقف خلف زجاج النافذة تنظر لقطرات المياه الساقطة أمامها ،كانت قطرات مياه المطر الناعمة تشبه نعومة قلبها , لم تختلف الأمطار لكن قلبها أختلف ، أصبح صلباً لا تخترقه قطرات المياه.

(الممرضة صابرين)

عادت لمسكنها منهكه بعد أن أنهت عملها ، لم تجد وسيلة لسداد ديونها لم يبق لها من ذكريات جارها سوي ليلتان , فكرت أن تترك شقتها ، وتعيش بشقة جارها لكن هذا الحل لن يدفع الإيجار المتأخر . أخذت مفتاح شقة جارها لن تترك هذه الشقة إلا حين يجبرها صاحب العمارة على تركها ؛ فتكون قد ودعت الشقة وصاحبها ما إن دخلت الشقة شعرت بأنها تحادثه وهو يسمعها , حيته من قلبها قائلة :

"جاري العزيز أدخل الآن شقتك الخالية من كلَ شيء إلا منك ، أمضيت عشر سنوات بجوارك ، لم أحدثك خلالهم سوى كلمات معدودة , كنا نلتقي مصادفة كنت انظر عابسة في وجهك ، كان الزمان قد أسكن القسوة قلبي , دخلت هذه الشقة وقررت أن أكون كما أنا فحسب امرأة عزباء وحيدة للأبد , لطالما راودني شعور بأني سأموت وحيدة ، لن أجد إنساناً لأودعه ثم أرحل , ولكنك آنستني بصوت أم كلثوم الصادر من شقتك كلَ ليله , ذكرتني برائحة طفلي الذي لم أنجبه ، كانت أنغام مذياعك تشبه عناق زوجين متحابين ، العناق الذي لم أذقه يوماً .

دخلت **صابرين** غرفة نوم جارها كانت على حالها ، دائما ما حافظت على ترتيبها كما كان يفعل , لم تحرك شيئاً من مكانه ,استلقت على أغطية سريره لتشعر بوجوده , لم تفتح أوراقه المطوية ، لم تكن تريد معرفة ما لم يطلعها عليه من أسرار لكنها لا تملك الكثير من الوقت , بدأت أنفاسها تتلاحق من حزنها المتزايد , فتحت إحدى أوراقه المطوية كانت الورقة خالية إلا من سطر

((قد ملكت القلب فاستوصي به خيراً ،فإنه حق على من يملكه))

وفتحت ورقة أخرى كتب بداخلها.

((أحببتك بصمت فزاد الصمت من شوقي))

ملأت دموعها فراغ السطور ، عاد بها الحنين لليوم التالي لإخباره إياها بحبه لها . حين بكت ذلك اليوم وأخبرته بكل شيء تركته بحجة أن عملها انتهى ، وأنها ستعود في الصباح ، فودعها بنظرة حب أشبعتها من ملذات الدنيا ، ولكنها لم تترك المشفى ذلك اليوم , كانت بالخارج تجلس على أحد المقاعد المجاورة لغرفته , لم تخبره أنها تحبه ، ولكنها أحبته منذ أن سكنت بجواره , تعلقت عيناها بنافذته ، وشرفته , وصوت مذياعه . لكنها أجبرت قلبها على عدم الحب ، فكان لزاماً على قلبها إخفاء حبه حتى عنه .

عادت في الصباح ، دخلت غرفته ، ابتسم حين رآها , طلب منها أن نتناول الفطور معاً ؛ فوافقت.

كانت تقضي الأيام معه ، تخرج فقط لتنهي عملها ثم تعود للجلوس معه ، لم تضيع ولا ليلة من ليالي طرب المذياع ، في إحدى المرات دخلت غرفته فلم تجده بحثت عنه في كلَ أرجاء المشفى ولم تجده حاولت أن تنهي عملها ، ولا تهتم فبالنسبة لها الجميع يرحل ولا يبقىَ سواها وحيدة .

عاد بعد ساعات ، دخلت غرفته فوجدته بالغرفة لم تستطع التحكم بسلوكها ؛ فما كان منها إلا أن عانقته ، وقالت:

- متسبنيش لوحدي تاني .

عانقها هو الآخر بقوة ،ثم ابتعدت عنه ؛ شعرت بالخجل وأدارت وجهها تجاه الباب من حيائها منه ؛ فمد هو يده ولف حول رقبتها سلسلة من ذهب ، مكتوب عليها .

♡ **تشبه الحياة بسمتك**

ألتفتت له وقلبها يرقص ثم خرجت من غرفته مسرعة كانت قد تناست هذه التصرفات الطفولية ، ولكنها لا تستطيع التحكم بكل ما يصدر عنها لا تستطيع سوى التصرف كما يدفعها حبها .

في اليوم التالي اشتقته جداً ، لكنها لن تستطيع أن تنظر له بعد أن عانقته , أدخلت فطوره وهو بدورة المياه ، و تركت بجوار الطعام ورقة كتب عليها:

"ايه مقابل هديتك'

كانت **صابرين** تترقب أخباره من زميلاتها ، فكلَ امرأة تستطيع معرفة ما تريد دون الحاجة لإبداء أسباب . خرجت زميلتها **هدى** بيدها ورقة ، مدت يدها لها بالورقة فتحت الورقة كان بداخلها

' مقابل هديتي نفسي أشوف جمالك قدام بحر اسكندرية ، و يا خوفي البحر يغير'

أخذت كلماته على مَحمل سيئ ، خشيت أن يكون يراها امرأة سيئة الأخلاق ، فغيرت طريقتها في التعامل معه

(المتاح)

لا يمنح الوقت الكثير ؛ سيفاجئك دوماً

لذا استمتع بالمتاح لعله آخر ما أتيح من السعادة

(أمينة)

لم تغمض عينيها طوال الليل ،لم تجدِ محاولتها نفعاً ؛ سيأتي **عمرو** وأبيه ليحددوا موعد خروجها من سجن أبيها لسجنٍ جديد ، تفهم أن والداها لا يحبها ولكن لم يصر على زواجها من **عمرو** خاصةً ، في الصباح وصلنها رسالة من **صابرين** كان محتوى الرسالة .

((خليكي جنب آسر ، ميعرفش غيرك فأقفي جنبه))

ادهشتها تلك الرسالة ،يبدو من الرسالة أن **صابرين** تعرف من البداية أن **أمينة** لا تَمُتُ **لآسر** بصلةٍ ، فما الذي جعلها تبعث لها برسالة كهذه , أيبدو على **أمينة** تعلقها بهذا المريض ؟ أم هو من طلب منها أن ترسل هذه الرسالة ؟ اجتاحها شوق غريب لرؤيته ، خفق قلبها, شيء ما بداخلها يحدثها أن تعود و تلازمه دون أن تفارقه أبداً , بدلت ثيابها ، وذهبت **لآسر** . طرقت باب غرفته فسمعت ؛ صوته :

- اتفضل.

فتحت الباب كان جالساً على السرير ، ما إن رآها حتى وقف , فقالت:

- أنا...

ثم صمتت فتوجه إليها قائلاً:

- **أمينة**.

هزت رأسها بنعم ؛ فأشار لها أن تتبعه ؛ فتبعته كان يبدو عليه الألم لكنه يحاول أن يتظاهر بعدمه , صحبها لحديقة المشفى وأجلسها أمامه على أريكة ، نظر لها باهتمام ، أزداد خجلها من نظرته فصمتت ، وهو ينتظرها بفارغ الصبر أن تنطق ؛ أراد أن يسمع أي شيء يخصه إلى أن نطقت أخيراً :

-أنا معرفش أنت تعرف ايه عني بس أنا عارفاك.

سمعها بإنصات تام ،انتظر منها أن تخبره بشيء يخصه .

- أنا زورتك لشهور كنت أنت في غيبوبة ، كنت بحكيلك كل حاجة عني كنت بفضل أكلمك.

نظر مندهشاً ،ثم قال:

- أنتِ جاية تهزري , يعني ايه عرفت صوتك وانا في الغيبوبة ؟!!

ثم وقف ؛ فوقفت أمامه وطلبت منه أن يهدأ

- مبهزرش أنا عارفاك بس طول غيبوبتك معرفتكش قبلها .

قال بوجه غاضب :

- وجاية ليه ؟

نظرت بعيداً ،وقالت :

- معرفش.

رمقها كالمصدوم ،ثم تركها وصعد لغرفته وهي جالسة على الأريكة .

وقف **آسر** بشرفة عنبر علاجه ، نظر لها , جلست لدقائق , ثم غادرت المشفى . كان غليظاً معها ، ولكنه انتظر أن تخبره بأمر يخص شيئاً قد نسيه لا أن تخبره تلك الترهات ؛ فليس بالهين أن تخسر كلَ شيء وتحاول الخلاص فيطيل الله عمرك.

. . . . . .

في طريقها للعودة وأمام باب المشفى اعترض طريقها طفل يجري من أمه , ضربها بيده الصغيرة بقوة ، لم تكن الضربة موجعة ولكنها اسقطت دموعها ؛ شعرت بخيبة أمل لم تشعر بها رغم كلَ ما مرت به سوى الآن , كانت تنتظر مرور السيارات ، لتعبر الجانب الآخر من الشارع , فسمعت صوته يناديها فكرت ألا تلتفت لكنها التفتت , اقترب منها ,أظهر لها بطاقته الشخصية وأشار لها على خانة العنوان.

- ممكن تبقي تيجي معايا ؟.

كانت ضربات قلبه متسارعة بسبب محاولته اللحاق بها ، ويبدو عليه التوجع لو كان الوضع مختلف لأعلنت عليه الحرب وجعلته يندم على طلب كهذا ؛ لكنه يحتاجها كما كانت تحتاجه لشهور , هزت رأسها موافقة , ثم عبرت للجهة الأخرى من الشارع , ركبت الحافلة ونظرت له بابتسامة إلى أن اختفى من أمامها .

عادت منزلها مضطربة العقل مشتتة . لتجد ضيوف أبيها أوشكوا على الوصول.

(الممرضة صابرين)

نعيش في بلاد مزدحمة ، فلا نرى من حولنا جيداً بسبب الزحام ، نتحول لقلوب وأرواح مزدحمة كبلادنا , نكيل الناس بمكيال أصم ، ونحاسب الأبرياء على فعلات المخطئون . أشعلت **صابرين** المذياع الذي لم تلمسه منذ سنوات , أخذها لطيار الذكريات الجارف .

كنت قررت ألا أدخل غرفة جاري من الآن ،مر يومان لم تطآ قدمي الغرفة ، كنت أعلم أنه يترقب دخولي غرفته لكني لم أفعل حتى جاء دوري في المناوبة الليلية , رن جرس غرفته , ترددت قبل أن أدخل ،دخلت فوجدته ينظر نحو الباب بشغف وكأنه ينتظرني , هرول إلي جلس على ركبتيه ومد يده وأمسك يدي ، طبع قبلة على كفي قائلاً:

- وحشتيني .

لم أفهم رجل كهذا لما لم يتزوج منذ زمن ؟ لم تركته النساء ؟ . تذكرت غبائي كان يسكن مجاوراً لي لسنوات ،ولم ألحظه إلا الآن.

مر شهران وحالته تستقر لكنه بحاجة للمتابعة لذلك يمكث بالمشفى ، كنت سعيدة بوجوده بيد أني أتوق له حين أعود لبيتي . رن هاتفي برقم مجهول فوجدت المتصل طبيب من مشفى آخر أخبرني أن أبي أراد رؤيتي قبل موته ؛ ذهبت مع جاري لتلك المشفى , كانت المرة الثانية التي يغادر فيها المشفى ، المرة الأولى حين اشترى لي القلادة . دخلت غرفة أبي كان السرير خالياً أخبرتنا الممرضة أن أبي توفي منذ نصف ساعة ، لأول مرة تؤلمنى الأسرة حين تخلو من مرضاها ، لم أعرفه لم أحادثه ، لم نتفاهم او نتقاسم حواراً أو نتشاجر ، و لكنى تألمت لعدم سماعي ما كان يريد قوله . حضر جاري جنازة أبي ، و قفت أمام المقبرة . قرأت له سورة الكهف و دعيت له ، و لكني لم أستطع قول :

"اللهم ارحم والدي كما رباني صغيرة " ؛ لم يربني ولم أعرفه كان غريباً عني دائماً .

حزنت ، ولكن جاري عوضني كان يحسن الاستمتاع بالوقت , يجيد الحديث واللهو .أذكر أنه أخبرني أنه يريدني في أمر هام , صعد بي لعنبر خالي إلا من أسرة قديمة متهالكة , كان الأمر الهام أنه يراني بحاجة للعب , سحب يدي وجرى بسرعة فجاريته , أصابه التعب فلا يمكن لمريض قلب أن يبذل مجهود كهذا , خفت عليه ولكنه لم يهتم ، ضحك ملأ ضحكنا العنبر المهجور ، لعل الأسرة ضحكت أيضاً.

إلى أن جاءني خبر جديد....

(آثار)

دخلت **أمينة** الغرفة ولم تغادرها . حين حضر **عمرو** وأبيه ألحت **آثار** على **أمينة** أن تحييهم ثم تعود لغرفتها ؛ ففعلت **أمينة** ثم عادت لغرفتها , استرقت السمع لما يقولون تم تحديد الزفاف بعد شهران من الآن , حين غادروا طالبها زوجها بإطلاق زغرودة ففعلت , لم ترد إطلاق زغرودة احتفالاً بتعاسة ابنتها ، ولكن هذا ما حدث .

(أمينة)

حين سمعت زغرودة أمها عرفت أنهم قد رتبوا كلَ شيء , يجعل الإجبار كل ما هو جميل الأشد قبحاً , تتحول الحياة إلى مجرد زنزانة ، و الجدران إلى سياج ضيق يضيق حتى نختنق ؛ فنموت ونحن أحياء .

لأول مرة تتصل بأخيها , هاتفت **علي** انتظرت إلى أن أجاب بثقل ، تغير صوته عن السابق قليلاً ، ولكنها عرفته . قالت:

- **علي** .

فأجاب هو

- مين معايا ؟

قالت بصوت مثقل

- أنا **أمينة**.

شوش بكائها على الحروف ، كانت نبرتها باكية حزينة . فقالت:

- بابا عاوز يجوزني ،و أنا مش عاوزة ,علي ... خليه ميجوزنيش **يا علي**

أجابها باهتمام ضئيل و كأنه يفكر بأمر آخر.

- اهدي بس , بابا عارف مصلحتك أكتر منك **يا أمينة**.

لم تكن تنتظر تلك الإجابة ، أخفى البكاء تلك المرة صوتها بالكامل ، لم تستطع تجميع الحروف لنطق الكلمات ، وإنما صدرت عنها حشرجة , تقطعت أنفاسها ،شعرت بأن الروح ستغادر جسدها , ليقول هو:

- متعيطيش يا **أمينة** , أنا هكلم بابا.. سلميلي على ماما.

انتهت المكالمة ، وهي تعلم أن **علي** لن يفيدها . مضت ليلة سيئة ، انتظرت النهار لتذهب إلى **آسر** , لم تضع خاتم الزواج ؛ فإذا كان أبيها ألبسها الخاتم عنوة ؛ فستضعه أمامه و تخلعه بعيداً عنه.

طرقت باب غرفة **آسر** وسمح لها بالدخول ، تبادلا الابتسامة والتحية , ثم قالت:

- يلا علشان نروح للعنوان اللي في البطاقة .

قالتها ، وانتظرته بالخارج ليبدل ثيابه ؛ ثم ذهبَا إلى منزله ما إن وصلا لشارعه بدأ سيل الذكريات ، تذكر خطواته ، لهوه مع الأطفال في صغره ، أبيه ، وعصبية أمه حين يرتكب الأخطاء , ازداد ألمه آلمه ظهره بشدة ؛ فتوقف بدا على **امينة** القلق فقالت :

- أنت كويس.

ضَحك ساخراً من وضعه .

- باين إن الوجع بيلاعبني بيزيد كل ما أفتكر ممكن لما أنسى ال معرفتش أنساه يفارقني الوجع.

صعدت معه لشقة أمة لم يستطع دخول شقته ، لم يغلق الباب تركة مفتوح ،تذكر ما صدر عنه حين زارته **آية** ؛ انتابته عاصفة من الغضب ، فضرب بيده أحد الأكواب الزجاجية فكسر ، انتبهت **أمينة** لثورته ، حاولت أن تهدأ من روعه ,أجلسته على أقرب كرسي ثم احضرت له كوب ماء , صمت طويلاً فجلبت كرسي وجلست بجواره , نظرت له بهدوء ، وأردفت:

- احكيلي احكي كل حاجة قول اللي افتكرته ، واللي مكنتش عايز تفتكره .

رمقها بحدة ، ثم أشار بيده بغضب قائلاً:

- كانت بتمشي هنا على الكنبة اللي هناك , حاولت اعتدي عليها ، ومن الباب ده خرجت مذعورة خايفة مني , وفي السرير اللي جوا أمي ماتت , ويوم ما صوتي علي على أبويا ومات بعديها كان قاعد في الأوضة ال بابها وراكي .

لم يكن ما سمعته هين ، لكنها نظرت له ببرود قائلة:

- هي دي غلطاتك بس , ايه فيها يضايق.

انفعل بشدة من كلماتها وبدأ يتحرك بخطوات واسعة ثم عاد وجلس , وبدأ في سرد التفاصيل ، حكى عن **مَريم** ، **وآية** ، وليلة الحادثة ، ولقائه **بمَريم** ، و خِداعه **لآية** لسنوات . انصتت بصمت لم تنطق أتاحت له الفرصة ليفرغ ما بداخله , حين تذكر وجه **آية** المخضب بالدماء بدأت دموعه بالتساقط ، وقال بحزن شديد :

أنا قتلت ابني ومراتي , بس معرفتش أموت.

قالها ثم انفجر باكياً , حزنت لحاله ؛ فقالت :

- أخويا سافر هجرة غير شرعية فيه كتير كانوا معاه ، ماتوا بس هو عاش مش علشان كويس وهما وحشين بس احنا بنعيش لسبب لما بيخلص السبب بنموت ، أنت مقتلتهمش ده كان نصيب لو كانت العربية أتأخرت مكنتش الحادثة حصلت.

هز رأسه نافياً :

- متقوليش أي كلام .
- أنت مش وحش , أتجوزتها هي ، رفضت تخونها مع مريم ، هي فهمت غلط بس زمانها عارفة إنها ظلمتك **(ضحك بقوة قائلا : ظلمتني , هي ظلمتني . فقالت):**اه ظلمتك , هو أنت الوحش الوحيد في الكون ما كلنا فينا وحش , أنت انضف من ناس كتير، الموت مش بأيد حد فينا و لا الحب بأيد حد . انت احترمت اية فى كل ثانية عاشتها فى بيتك ، و القدر اللى كتب انها تروح قبل ما تفهم الحقيقة . انت مش وحش ، قوم.

سحبته من يده وصعدت به لشقته ، لم تسمح له برفض الدخول جذبته لغرفة نومة أخرجت ثياب **آية** من الدولاب , كانوا كما وضعتهم قبل موتها , كان أشبه بطفل خائف من العقاب حاولت وضع الثياب داخل حقيبة ؛ فصاح بها :

- أنتِ بتعملي ايه ؟سيبيهم.
- هنوديهم انا وأنت لجمعية خيرية هنودلها الثواب .

لم يعترض جلس على السرير ، نظر للملابس تذكرها ، حين وضعت فستان أزرق اللون في الحقيبة خفق قلبه ؛ فهذا الثوب كانت ترتديه قبل نزولها للعمل في اليوم المشؤم , تخيلها كأنها أمامه , تخيل ابنه الذي لم يولد ثم بكى كطفل بكى بضعف شديد ؛ فعانقته **أمينة** لم تفكر في الحرام والعيب شعرت بأنه طفلها الكبير فاحتضنته كأم .

(الممرضة صابرين)

أعادت **صابرين** ترتيب ثياب جارها , اشتمت رائحته بالثياب ، وأضاءت انوار الشقة جميعها ، مسحت الغبار عن كتبه , جلست بشرفته وأشعلت مذياعه ، فملأ صوت أم كلثوم صدرها بحب فائض أخفته منذ رحيله , أعادت صياغة ما مرت به منذ ميلادها , أصبحت تعنيها التفاصيل , ترى الأشخاص دون حجاب الجسد والمظاهر , أصبحت ترى البشر ارواح بعضهم داخلهم عامر بقلب سليم وأرواح معذبة اجهدها الظلم ، وأرواح مغلقة خلقت لأذى البشر . أصحاب الإنسانية متعبون , بقدر إنسانيتك تتحمل من عناء . على صوت الست وهى تغني

اهرب من بكره أروح على فين ليالينا الحلوة في كل مكان أعيد السرد من جديد

(أمينة)

جلست بالشرفة ،لم تعد تهتم لغضب أبيها ، فكرت بطفلها الكبير ، الذي عرفته من أيام , أنهكها ما يعانيه ، كانت قد سجلت رقم هاتفه حين وجدوا الهاتف بالشقة ؛ فقررت أن تراسله , فكتبت :

' الليل متخلقش علشان نندم على ذنوب بس ، اتخلق علشان نلاقي حاجة نحب نفكر فيها ، حاجة نفرح لما تزورنا في حلم'

تمنت أن يقرأها , رن هاتفها لم يكن المتصل آسر ، كان **عمرو** هو المتصل , لم ترد الرد لكن إن لم تجب لن تنتهي مرات اتصاله ؛ أجابت لتفرغ منه إلى التفكير بآسر .

- شايفة أنا اللي اتصلت برده .
- معلش .
- مش مهم , مبروك عليكي أنا .
- الله يبارك فيك .
- أنتِ ايه مضايقك زعلانة طول الوقت أوعي تكوني كئيبة.
- أنا كئيبة ده مضيقك ؟
- لاء , هبقى أعلمك الفرفشة.

- أنا لازم أقفل.
- اقفلي كلها شهرين ومش هتعرفي تهربي .
- اشمعنا شهرين.
- هي العروسة آخر من يعلم ، هنتجوز كمان شهرين.

لم تودعه أغلقت الهاتف وأسرعت إلى أبيها لم تجده كانت **آثار** أنهت صلاتها ، فنظرت لها بغضب.

- لما أنتم مش طايقني كنتوا بعتوني , أو دفنتوني حية ، وأنتِ ليه ضعيفة كده؟

قالت **أمينة** كلماتها ثم تركت الغرفة , كان أبيها عائد من الخارج رمقته باستياء وأسرعت إلى غرفتها , وجدت ثلاث مكالمات فائتة من **عمرو** ، ورسالة من **آسر** قرأتها' **شكراً يا أمينة.'**

أهذا ما استطاع قوله ،لكن يكفيه ما يحمله , أمامها شهران فقط إن لم تكن ستختار المستقبل فلابد أن تنعم بالحاضر , أن ينبض قلبها ، أن تضحك كثيراً , انتظرت الغد لتقابل **آسر**.

(الممرضة صابرين)

حين رأيت **الطبيب عماد** مقتضب الوجه ، بعد أن رأى أشعة وتحاليل جاري ؛ علمت أن خبراً سيئاً ينتظرني , تبعت الطبيب لغرفته ،ثم سألته :

- ماله يا دكَتور علاجه هيطول , هيتعب أكتر ؟
- قدامه حل واحد يا متبرع بقلب ودول نادرين في مَصر ، وهو واضح إنه مش غني , فقدامه مسألة وقت يا المتبرع بسرعة ،يا ربنا معاه.

ألجم لساني الخبر , جلست على كرسي , مر الناس من أمامي ما بين مرضى وأطباء , وممرضات ، وزوار فلم ألحظ أحد , توقف الزمن لبرهة ؛ ليخبرني أني لن أراه لاحقاً , استجمعت قَواي ، ثم مررت بجاري العزيز ، جلست بجواره لم استطع النطق , شعر بأمر هام وراء صمتي ، لكنه لم يسأل , التفت إليه باسمة , ثم وضعت ثيابه داخل حقيبة , فقال مندهشاً :

- ايه , هخرج؟

فابتسمت أكثر.

-لا , هنروح اسكندرية , ولا رجعت في كلامك .

- وشغلك ؟

- خدت إجازة , الشغل مش هيطير

بدت السعادة على وجهه , وفي الليل سألني :

- أنتِ مش هتروحي.
- هسهر معاك.
- يا سلام , هو ايه اللي حصل ؟
- عاوزة المستشفى كلها تعرف إني بحبك .

ضحك بشدة إلى أن لمعت بعض الدموع بعينيه من شدة ضحكه ، وأنا ابتسمت أيضاً ، لكني أردت البكاء على صدره للصباح فحَسب

. . . . . .

قبل غروب اليوم التالي كنا نجلس على شاطئ الاسكندرية ، قام للمشي فلم أصحبه أردت أن أفسح المجال لوجهي ليبدو عليه الحزن , حتى أستطيع الضحك في وجهه , مشى بمفرده لم يبتعد كثيراً ، ظهر عليه الإرهاق فهرولت إليه حين تأكدت من كونه مرهق بسبب المجهود والسفر بكيت بشدة ، لم يفهم سبب بكائي الشديد ؛ فقال:

- أنتِ عارفة ايه الفرق بين قلبي وقلب حد سليم ؟ إن قلبكوا بيقول دوم دوم ، وأنا قلبي بيقول دوم ويسكت ودوم ويسكت , بس من يوم ما رضيتي عني وهو بيعزف ألحان .

ضحكت مما قال , فاكمل:

- قلبي تعبك معاه , وبعدين وفري دموعك لما أموت.

أدرت جسدي ، ونظرت له بشوق وقلت دون شعور مني

- بعيد الشر عنك , بعيد الشر عنك.

كررتها إلى أن أمسك يدي واقترب بي من المياه ، حاول رمى بالمياه فرميته أنا بها, استمررنا بتكرارها إلى أن بلغت المياه خصري ؛ فخاف أن أمرض ، وعاد بي للفندق . صعدنا غرفنا ، كان قد قام بحجز غرفتان متلازمتان , ودعته بابتسامة ، ودخلت عرفتي ، تملكني الحزن ما إن أصبحت بمفردي , بعد أن هدأت قليلاً اغتسلت وارتديت ملابسي . دق الباب ؛ فتحت لأجد صندوقاً أنيقاً ،فتحته كان

بداخله صندوق الموسيقى عبارة عن صندوق على هيئة مسرح وعلى المسرح راقصة باليه صغيرة ترقص على أنغام الموسيقى التي يصدرها الصندوق ما إن يفتح ،ومع الصندوق بطاقة صغيرة كتب بداخلها

شكراً , بحبك♡

حملت لعبتها الجديدة ، كانت الدمية الصغيرة ترقص على أنغام الموسيقى ، ويختلج قلبها حزناً , جفت دموع عينيها ؛ فبدأ قلبها في البكاء.

بعد دقائق رن هاتف غرفتها ، كان هو المتصل , قال :

- ألبسي علشان نتعشى.

لن تضيع ما بقي من حياته إلا وهي برفقته ، لعل مرافقته للنهاية تطفئ أشواق رحيله فتحت الخزانة فوجدت فستاناً أحمر ، ارتدته وهي تفكر متى قام بشرائه رغم أنها تلازمه منذ مجيئهم , ما إن وطئت قدمها مطعم الفندق نظر لها كالمسحور لم تكن شديدة الجمال ، ولكنها الأجمل في عينيه , ما إن اقتربت أزاح لها الكرسي وأجلسها ،ثم عاد مكانه , كان يزداد لطفاً فتزداد حزناً . نظر لها مبتسماً ، وقال:

- تصدقي أنتِ حلوة أوي وأنتِ سرحانة وحزينة .

نظرت له كمن تود حفظ ملامح وجهه

- أنت ليه متجوزتش لدلوقتي ؟
- معرفش ، قررت متجوزش غير اللي أحبها.
- وأشمعنا أنا حبتني ؟
- معرفش . يمكن غموضك ، وعصبيتك ، وتكشيرتك(**ضحكت فأضاف)** وضحكتك اللي لسه شايفها قريب ، وحنيتك . أنتِ فيكي من كل حاجة الحاجة وعكسها . **صمت ثم قال :**
- تتجوزيني ؟

لم تستطع إخباره أمر مرضه الشديد ، وأيامه المعدودة , ابتسمت دون أن تتكلم تركته يرى ابتسامتها كيفما أراد .. انتهى العشاء ؛ فودعها عند باب غرفتها وانتظر أمام غرفته إلى أن دخلت غرفتها .

لم تبدل ثيابها ؛ أرادت أن ترتدي ما قام بشرائه لأجلها قدر المستطاع ، وأن يغطي جسدها عطر من رائحته . على مقربة من منتصف الليل سمعت صوت أم كلثوم ؛ فأسرعت إلى شرفة غرفتها , كان يجلس أمامها بشرفة غرفته ، أحضرت كرسياً وجلست بشرفتها إلى أن سرقهما الوقت فناما بمكانهما .

مرت أيامهم بالإسكندرية سريعاً ما بين التجول بأرجاء الاسكندرية صباحاً وبعد الظهيرة أمام البحر ، والليل في مطاعمها ، وعند منتصف الليل أنغام المذياع والحديث من الشرفة إلا أن يغلبهما النعاس بمقاعدهم.

(آسر)

حاول الاتصال بكلَ الأرقام المسجلة على هاتفه الذي وجده بالشقة ، حين يجيبون كان يصمت , وأحياناً ينطق فيقول :

- أنا **آسر**

فتكون أجابتهم

- **آسر** مين ؟

كان ينهي الاتصال ؛ ليس بحاجة لتذكر أشخاص قد نسوه ، رقم واحد فرح صاحبه حين علم أن المتصل هو **آسر** , كان رقم **عم أمين** , حين أطلعه **آسر** على اسمه ما كان من الرجل طيب القلب إلا أن قال بفرحة عارمة

- ازيك **يا آسر** يا ابني , أنت كويس ؟

ليس الجميع سند في الضعف والشدة ، لكن إنساناً واحداً وفياً يغني عن باقي البشر . قال **عم أمين** بصوت دافئ :

- والله من يوم ما سبت الورشة ومفيش حاجة زي الأول , عامل ايه يا ابني ؟
- بخير.

طالب **عم أمين** من **آسر** اسم المشفى ؛ فأخبره **آسر** ، مر ما يقرب من ساعة ، أتى **آسر** زائر بهذا الليل ، كان الزائر **عم أمين** ،عانق **آسر** بقوة حين رآه , جلسا معاً بحديقة المشفى ، كان **آسر** صامتاً و **عم أمين** يحدثه باستمراره ، يحاول التخفيف عنه ، ثم قال :

- عارف يا بشمهندس **آسر** حياتنا دي شبه فنجان قهوة حلو أوى بس مزاجك قالك تشربه في طبق الفنجان فكل ما تيجي تشربه حد يعدي فتشرب من الفنجان فتيجي تشرب من الطبق حد تاني يعدي فتشرب من الفنجان ، لحد ما ميبقاش حد شايفك تيجي تشرب في الطبق تلاقي القهوة خلصت وأنت يا

محظوظ خلصت فنجانك ؛ فربنا رزقك بفنجان جديد اشربه زي ما أنت عايز.

قال ساخراً بحزن

- محظوظ !
- اه محظوظ , كله نصيب يا ابني متتحملش فوق طاقتك.

قال بغضب :

- أنتوا بتصققولي على ايه , على ابني ومراتي اللي قتلتهم .
- مقتلتهمش , نصيبهم كان كده ،وأنت نفسك كنت ممكن تكون ميت دلوقتي بس قدرك تعيش مش علشان تفضل تندم ، علشان تكمل حاجة في الدنيا , أنت مئذتش حد غير نفسك . في الطيارة اللي وقعت من سنتين كان فيه ست وجوزها هي مريضة بمرض خطير ، وهو باع اللي حيلته علشان يسافر يعالجها ، وتم شفاها ورجعين لعيالهم انفجرت الطيارة , هل هما كده غلطوا إنهم هما الإتنين سعوا للشفا؟

لم يجب **آسر** اكتفى بنظرة توحي باهتمامه فقط . أضاف **عم أمين**

- لو ماكنتش أتعالجت كانت هتموت وكان زمانه قاعد قعدتك يمكن ، وزمان اللي يعرفوهم بيقولوا ياريتها ما اتعالجت , بس في الحالتين هي ميتة ، لو كانت **آية** في البيت كانت هتموت ، ولو العربية اتدمرت عليك كنت هتعيش برده

لم يتفاعل **آسر** مع **عم أمين** ، ولكنه أنصت جيداً . انتهت زيارة **عم أمين** سريعاً ، فربت على كتف **آسر** قائلاً :

- هونها عليك يا ابني , أنا هجيلك تاني ، وهجبلك كشري معايا .

عاد **آسر** غرفته وحيداً ، امسك هاتفه واتصل **بأمينة** أجابت سريعاً ، كانت تتحدث بمرح . قال:

- **أمينة**.
- نعم.

ساد الصمت لما يقرب من خمس دقائق ،فقالت:

- **آية** كانت بتحلم بإيه يا **آسر**.
- معرفش.
- وأنت كنت بتحلم بإيه ؟
- معرفش.

- ما تقولي حاجة فاكرها من وأنت صغير موقف.

أطلعها على قصته مع الطفل الذي رآه بعد شراء ملابس العيد ، ونظرات ذاك الطفل ، ورغبته بمساعدته . فقالت:

- الحل هنا , ساعد غيرك ، معرفش بس مش أنت مهندس ما تساعدهم بده , لو ابنك كان أتولد ، مكنش هيحترمك أكتر من أنك تساعد الأطفال دول.
- اااه.

قالها **آسر** دون قصد منه ؛ فقلقت عليه

- مالك , أنت كويس ؟
- عندي صداع هيفرتك دماغي.
- طاب قول للدكاترة.
- هقولهم أكيد , تصبحي على خير
- شكراً **يا آسر**.
- أنا اللي شكراً .
- تصبح على سعادة.

لا يعرف سبباً لآلام رأسه ، لم يزد الأمر صعوبة عن أي حياة يحدثونه ، ولكنه بدأ يفكر في مساعدة أناس آخرين ، ظل يفكر إلى أن وجد سبيل لمساعدة الآخرين من خلال ما كان يحبه سابقاً وهو عمله ؛ انتظر زيارة **أمينة** ليطلعها على ما وصل إليه.

(الممرضة صابرين)

مر اسبوعان وهما بالإسكندرية ، لم يبق على رحيلهم عنها سوى ليلة واحدة . حاول إسعادها بشتى الطرق ، رجل كهذا كيف تجعله امرأة مجرد محطة تمر بها لتكمل العمر , أرادت مشاركته ما بقي له من أيام ولكنها لم تستطع منع قلبها من عشقه ؛ فهو رجل به رجولة العالم أجمع ، لن تستطيع تقبل أنصاف الرجال . طرق غرفتها ففتحت له ، نظر لها بابتسامته المعهودة ، وغمز لها بطرف عينه هكذا اعتاد مغازلتها بعينيه . ثم قال:

- احنا هنرجع مصر بكره ، تحبي تقضي آخر ليلة لنا هنا فين ؟

قالت كالمتيمة الحزينة

- مكان ما تحب .

صمت وكأنه يفكر ، ثم نظر لها فأذابتها نظرته.

- على البحر مستنيكي بعد ساعة.

. . . . . .

على شاطئ الإسكندرية وجدته قد قام بتجهيز كل شيء ، رتب لشواء الأسماك وأعد مكاناً لجلوسهم .عاملها كأميرة , تناولا العشاء ، لكنها لم تستطع تذوق السمك ، تذوقت مرارة غيابه المحتوم , لاحظ شرودها فأمسك يدها وحاول سحبها للبحر لكنها رفضت ؛ فلم يجبرها ، وغاص بالبحر في هذا الظلام الحالك ؛ فصرخت هي لتحذره.

- الدنيا ضلمة ، حاسب.

ظلت تصيح لتحذيره إلى أن أنهى غوصه ، لم يمكث طويلاً فقلبه لا يحتمل نشاطه الدائم . خرج من المياه ، ومسح جسده بالمنشفة ، ثم جلس بجوارها قائلاً:

- كنتي خايفة عليا

قالت كمن لم تكن تتنفس :

- كنت مرعوبة.

نظر لها بارتياح , كان هادئاً شديد الهدوء . وقال:

- خايفة عليا من المياه وأنا قلبي كلها شوية ويقف.

أرادت البكاء فتمالكت نفسها وقالت بقلب خافق:

- مين قالك كده ؟
- عنيكي
- عينيا كدابة ، مش واخدة على السعادة بس بتحب النكد.

بدا عليها الارتباك . فوقفت وأدارت ظهرها له قائلة:

- هاجى معاك إسكندرية ليه لو ده هيتعبك ؟

قالت جملتها ؛ ثم أدارت وجهها له فوجدته يقف أمامها . قال:

- يمكن بتودعيني.

تملكها الحزن والخوف ،لن تستطيع الكذب فصمتت ؛ فضحك هو بشدة . اندهشت لضحكه , أيضحك لأنه سيفارق الحياة ؟ أم يسخر منها ؟ توقف عن الضحك ، وأردف:

- شكلك حلو وأنتِ مخضوضة أنتِ صدقتي ؟

تنفست الصعداء لعدم معرفته أنه على أعتاب الموت ، لكنها تعلم أنها سافرت للإسكندرية لتوديعه حقاً . قالت:

- أنت خايف ؟

جلس بجوارها ونظر تجاه البحر ، ثم قال بعمق

- معرفش ، بس من يوم ما أتولدت ، وأنا عارف إني هموت فكل اللي حسيت إني عايز أعمله عملته , أصل الموت قريب أوي مش بعيد زي ما احنا فاكرين , العمر كله شوية حكاوي مش هتاخدلها ساعتين كلام .

قال كلماته ، ثم ضمها إليه فأسند رأسها إلى صدره ، كان عناقه وأمواج البحر المتضاربة كافيان ليرسم قلبها لوحة حياتها . مرت دقائق ،ثم سحبها من يدها ، ووضع يده حول خصرها والأخرى عانقت يدها ، بدأ يدور بها قرب الشاطئ فقالت بضحكة طفولية.

- أنت بتعمل ايه ؟.
- بنرقص.
- وفين المزيكا ؟
- مفيش أحلى من البحر وضحكتك مزيكا.

. . . . . .

كان صوت الطرق المزعج على الباب كفيل بإخراجها من أجمل لحظات ماضيها كان **صاحب العمارة** هو الطارق , سألها ما إن قامت بفتح الباب :

- جمعتي فلوس الإيجار المتأخر ؟
- لا , اصبر عليا.
- طيب فضي الشقة علشان السكان الجداد يعينوها.
- طاب ادیني یومین کمان.

نظر بعدم اهتمام ،وقال ساخراً:

- اديتك كتير ، ايه هتضربى الأرض تطلع بطيخ المرة دي ؟

قال كلماته ثم أدار وجهه وبدأ يهبط الدرج ، فقالت بصوتٍ عالٍ

- هجيب سولفة من الشغل.

لم يلتفت لها ، قال فحسب وهو يكمل هبوطه

- الحكومة مبتسلفش كان غيرك أشطر.

أمينة

انتظرت أمينة **آسر** إلى أن خرج من غرفة الأشعة , أخبره الطبيب أن سبب الألم بقدمه وظهره هو سقوطه القوي ، وأن الأمر سينتهي بعملية سيجريها قريباً وبعد مجموعة من جلسات العلاج الطبيعي لن يشكو من أي ألم . فقالت:

- والصداع , عرفت سببه ؟
- إرهاق ، وضغط نفسي شديد.

شرد مرة أخرى ؛ فحاولت مقاطعة شروده قائلة:

- هتفضل ساكت , بتفكر بس.
- لا . .عم **أمين** أقنعني أبيع شقة أمي ، وأرجع شقتي لصاحب العمارة , كفاية إنه مرماش العفش الشهور اللي فاتت .
- كويس , أبدأ من جديد

هز رأسه متفقاً معها فيما تقول ، ثم صمت مرة أخرى , أرهقها صمته ، تعلم ما يساور عقله , لكنها تريده أن يبوح و يحكي ما يريد , ينفعل , يسب , أو يكسر أي شيء . انتبه من شروده بعد دقائق فسائلها :

- أنتِ ليه تاعبة نفسك معايا كده ؟
- علشان أنا مش تعبانة , بالعكس لقيت حد أكلمه ، وأبقى بعمل حاجة.

شردت فيما ينتظرها , أينبغي أن تنهي علاقتها **بآسر** الآن ، تمر الأيام سريعاً ، لم يبق أمامها سوى شهر وسيمر سريعاً ، وتقف كل ليلة تنظر من النافذة ، متمنية أن يمر **آسر** أمام منزلها , ستدعو الله أن يفتح الباب لدخول **آسر** وليس **عمرو** , تعلم أن نبتة حزن ستغرس بقلبها حين تطأ بيت **عمرو** بفستانها الأبيض ، وستنمو النبتة إلى حد أن يحتلها الحزن ، يتوجب عليها إخبار **آسر** بالحقيقة ، لكنها لا تستطيع إخباره أنها ستتزوج . فقال:

- **أمينة** ؟ **أمينة**.

انتبهت من شرودها ؛ فقالت:

- اممم.
- أنا معرفش عنك حاجة.

لو سألها هذا السؤال منذ شهور قليلة لأخبرته كل شيء . صمتت ثم قالت:

- أنا **أمينة** واحد وعشرين سنة ، داخلة رابعة جامعة ، والباقي مش بتاعي .

قال مندهشاً

- مش بتاعك ازاي ؟

امتزج الحزن والضعف بنظراتها

- مختارتهوش **يا آسر**.

آلمته نظراتها ، شعر بأنه يود مساعدتها ، لكن كيف وهو عاجز لا يعرف أي سبيل يسلك، لو باحت لساعدها قدر استطاعته ، لكنها لم تبح بشيء .

انتهى الوقت المسموح به للزيارة فتوجب عليها الرحيل , رافقها لخارج المشفى , اقتربت سيارة أجرة , أشار إليها فتوقفت . سألها :

- أنا ينفع أوصلك ؟

هزت رأسها نافية ؛ فهم أن بحياتها الكثير من المتاعب التي تحاول إخفاءها , فتح لها باب السيارة وودعته بابتسامة , ما إن ابتعدت السيارة أصاب **آسر** ألم شديد برأسه.

(الممرضة صابرين)

أغلق حديث **صاحب العمارة** أبواب الأمل ، وفتح أبواب الماضي على مصرعيها .الوضع أشبه حين دق بابها قبل سنوات , كانت قد عادت شقتها لتغير ثيابها ،

كان النوم قد هجر عينيها منذ أيام ، لكن جسدها المنهك خذلها ، فجعلها تغط في النوم كما لم تنم عمرها , فايقظها طرق الباب القوي ، كانت اعطت المشفى رقم صاحب الكشك ليتصلوا بها من خلاله في الأمور الهامة ليخبرها هو ؛ فقد تفقد هاتفها أو لا تسمعه , كان الطرق شديداً ؛ فاستيقظت من موتتها الصغرى مذعورة ، ارتجف قلبها خوفاً ،خشيت على حبيبها . فأخبرها حين فتحت الباب أن أمر طارئ قد حدث بالمشفى ؛ تحول عقلها لبندول ساعة لا يتوقف عن توقع أسباب لهذا الأمر الطارئ . سيطر الخوف عليها اتصال كهذا لا يبشر بخير فيما يخص جارها.

. . . . . .

أسرعت إلى المشفى , كان جارها قد تم نقله إلى غرفة العناية المركزة ، فقد الوعي فجأة , أصبح قلبه بحالة يرثى لها ، اقترب موعد توقف قلبه للأبد.

جاهدت **صابرين** إلى أن استطاعت الحصول على إجازة من جديد ، لم تكن بحالة تجعلها تستطيع مداواة المرضى ؛ وهو بحاجة أن تبقى بجانبه للنهاية , كان حبيبها الراحل منهكاً بشدة ، يتحرك بصعوبة بوجه شاحب ، و تحول لون شفتيه للون داكن لكنه لازال يبتسم طوال الوقت , تذكر أنه أيقظها ذات مرة قبل الفجر ، كانت نائمة مسندة الرأس على سريره، ويعانق كفها كفه , أيقظها و دموعه في عينيه تنتظر أمر الإفراج لتسقط على خديه ، لامس خدها ، حاولت أن تبتسم فانهارت باكية ؛ فقال :

- لو كان العمر أطول كنت هحاول أسعدك .

قالها ثم تأوه من شدة ألمه .

بكت لبكائه بشدة . انقضى خمسة عشر يوماً تحسن خلالهم قليلاً ، استطاع التحرك قليلاً , كانت تحاول منعه دائماً من بذل مجهود تطالبه بالجلوس أو النوم , لكنه لم يخشَ الموت يوماً ، كان حراً لا يعيقه مرض , كان يضحك ويمزح مع الجميع لكنه يلزم البقاء في الغرفة ملازماً فراشه من أجل **صابرين** فحسب حتى لا يزداد قلقها.

. . . . . .

كانت ليلة صامتة وكأن الهواء غادر الأرض ، تسرب لقلبها برد غريب , شعرت بأن النهاية أوشكت على الوقوع ، نظرت له بلهفة . أردت أن أمتع عيني برؤيته أكثر , وهو أيضاً نظر لي طيلة اليوم , أسندته ليجلس وجلست بجواره فكان ذراعي ملفوف حول ظهره ، وأشتم رائحته شعرت بأنسه ، دعيت الله جهراً ، أن

يطيل عمره كاد قلبي أن يتوقف من شدة حزني ، لم يكن هين أن أنظر في وجهه للمرة الأخيرة ، أن أستمع لآخر كلماته ، فقال كأنه شعر بحالتي :

- الموت مش وحش الدنيا اللي وحشة .. متصعبيهاش أكتر ماهي صعبة.

تماسكت لم أسمح لعيني أن تبكي , فقال لي بصوت متعب

- نيميني.

فعلت ما أراد ، نظر لي طويلاً ، ثم قال بصوت متقطع يختلط بصوت أنفاسه.

- اتكلمي , قولي أي حاجة .

لم أكن أستطيع التحدث ، لم تطاوعني الكلمات لأنطقها ، ولكني فعلت ما أراد ، حدثته عن حبي له , عن أهميته ، عن قلبي الذي كره البشر وأغلق منافذ النور ، فحول هو ظلام قلبي إلى نور ، أخبرته أنه لن يرحل ، لن أحتمل العيش بدونه , ثم خذلني لساني ، حشرت الكلمات داخله ، أردت البكاء فحسب , تأملني بصمت ، وقبيل الفجر ودعني بنظرة حب ،ثم أغمض جفنيه للأبد ، نظرت طويلاً لجسده الساكن ، لفمه الذي أطبق فانقطع صوته . في اليوم التالي انتظرت أن يأتي أحد أقاربه ليقوم بدفنه وتلقي العزاء فلم يأتِ أحد ، دفنته أنا وبعض زملائي بالمشفى.

عرفت من محامٍ زار سكنه بعد وفاته بأسبوع أن جارى العزيز لم يكن فقيراً ، كان يملك أموال طائلة ، لكنه أنفاقها جميعها ليعيش بحرية ، ويفعل ما يحلو له ، آخر ممتلكاته قام ببيعها قبل سفرنا للإسكندرية بأيام ، أخبرني أنه ترك لي أثاث شقته ، فلم أحتمل رؤية شخص آخر يسكن شقته ولن أحتمل , ثلاث سنوات كفيلة لإيقاف نبض الحياة بداخلي ، يزداد حزني على فراقه كلَ دقيقة ، جبال أحزاني لانهاية لها ، اثقلت كاهلي لم أعد أحتمل الصمود أكثر ,لن أستطيع التخلي عن أشياءه ، عن رائحته ، عن كل ما أحب .

(أمينة)

لو أمكن لها أن ترافقه لمنزلها ما ترددت أبداً ، ولكن لا يمكن لها ذلك . مع مرور الوقت تتأكد من أنها لا تستطيع مفارقته , لو أنه يلمح على الأقل بأنه يهتم لأمرها ، لكن بما ينطق وهو لا يعرفها ولا يعرف عنها سوى اسمها ، وإذا أخبارها أنه يهواها كيف ستحارب أبيها ؟.

وصلت المنزل ، دخلت غرفتها ، وجدت مجموعة من الصناديق ،أسرعت إلى **آثار** بغضب.

- الصناديق اللي جوا دي بتاعة ايه ؟
- دي حاجات من جهازك.
- ادخل أحرقهم وأحرقني .
- اهدي , هنقلهم في أوضة علي .

قالت **أمينة** بأسى:

- هي دي المشكلة ، ولا أنا كمان شوية كراكيب مضيقاكوا .
- قلت لك قبل كده مش هسيبك تتجوزي واحد مش عاوزاه اصبري عليا بس.

لم تبالي **أمينة** بكلام **آثار** وعادت غرفتها ناقمة على **أبيها وآثار** ، ووجودها ، وقلبها الذي أحب **آسر** ، لم تعد تنصت لكلمات **آثار** أو تصدق وعودها ، تعلم أنها تريد لها الأفضل لكنها سلبية , جل ما تقوم به هو النطق بمجموعة من الوعود ولن تفي بها يوماً .

مرت الساعات ببطء وجاءها اتصال من **عمرو** ؛ فأجابت بفتور:

- ألو.!
- ازيك يا حبيبي .
- ايه حبيبك هو أنا راجل قدامك ؟
- لا يا حبيبي , حبيبتي أنتِ ست البنات أنتِ فين ؟
- هكون فين يعني في البيت.
- في أوضتك.
- امممم.
- أكيد في سريرك , اسمحيلي اتخيلني معاكي دلوقتي , نايم جنبك ، و ....

قاطعته بغضب :

- أنت قليل الأدب.

ضحك طويلاً ، ثم أردف :

- كنت عارف إنك هتقولي كده .

فقالت **أمينة** ببرود:

- أنت عمرك غلطت مع بنت.
- ليه السؤال ده ؟
- جاوب بصراحة بس

- مرة زمان.
- مش مصدقاك.

قال مازحاً :

- ياه , شايفاني مؤدب.
- لا , بس أكيد أكتر من مرة.
- ناصحة , أكتر اه بس مش كتير.
- ومخطبتش منهم ليه ؟

- أخطب مين ؟ أنتِ بتهزري , لما اجي أتجوز اتجوز واحدة أقفل عليها بابي وأنا مطمن.

ضحكت ساخرة , ثم أضافت

- وأنت عرفت منين إني محترمة ما يمكن زيهم , وبعدين لو أنا ملاك طاهر ، هتجوز واحد زيك ليه , شكلك أنت اللي مش ناصح.

قالت كلماتها ، ثم انهت الاتصال ، لم تمنحه فرصة ليعلق على كلماتها , اتصل عليها أكثر من عشرين مرة ولم تجب , إذا كان لم يتركها حين أخبرته أنها لن تتزوجه فلابد من اتباع وسائل أخرى بذور الشك ستؤرقه ، قد يستسلم سريعاً ويقرر هو ألا تتم تلك الزيجة.

(آسر)

لم يخطئ عم أمين حين أخبره أن حياتنا تشبه القهوة , اقترب موعد إجراءه العملية الجراحية لمعالجة ظهره وقدمه . قد قرر أن يفتتح مكتب جديد للهندسة ، وسيخصصه للإنشاءات والمباني الخيرية ، كالمستشفيات ودور الأيتام ودور المسنين إلى جانب المباني الهندسية المعتادة ، حين شاهد أم تحمل رضيعها بالمشفى تذكر لو أن **آية** انجبت طفلة ، لعله كان قد يكون بنفس عمر ذاك الرضيع , مساعدة الأيتام الصغار ستجعله يساعد آلاف الأطفال والأمهات , يجب أن يهرب من إحساسه بالذنب بخلق فرص جديدة تتيح للآخرين حياة أفضل ، لعل الله منحه الحياة من جديد مرتين لأجل مساندة المعذبين بهذه الحياة , لكنه إلى الآن لا يعرف ما يربطه **بأمينة** , فتاة غريبة عنه لم يجمعه بها ماضٍ ، دخلت حياته بشكل مفاجئ ؛ فلما تشغل حيزاً من تفكيره ؟ ! لما قطع صمته منذ استعادة وعيه حين عرفاها , لن يفيدها فحالته يرثى لها , لكنه ينتظر زيارتها ، يحب مرافقتها حيثما تريد ،

وكأن من وصفتني بالخيانة لم تكذب ، لم يمضِ على خسارتي **آية** سوى عام وشهور قليلة وأتعلق بأخرى**!**

في اليوم التالي زارته **أمينة** ، كان يوم العملية قد تحدد سيجريها بعد أقل من عشرين يوماً ، منعه الطبيب المتابع لحالته ألا يبذل مجهود حتى لا يتضاعف الضرر فلم يهتم. طلب من **أمينة** مرافقته ليرى القاهرة التي لم يرَ شوارعها منذ شهور ، لازال يتذكر كل ما أرتكبه ، لازال ضميره يعذبه ، لكنه يريد التنفس من جديد ، يريد صنع حياته الجديدة بإحكام ، لعل الله يغفر له ما سبق . ذهبت معها ، وجد نفسه برفقتها في المقهى الذي لطالما جمعه **بمَريم** ، ثم **آية** حين حاولت تجريد قلبها من حبه ؛ ارتبكت قليلاً حين أخذها لهذا المقهى ؛ خشيت أن يراها **عمرو** ، ثم تمنت أن يراها ليتركها . شاهد **آسر** تفاصيل لقاءاته التي لطالما حدثت بهذا المقهى , تصبب عرقاً حين تذكر كلماته **لآية** لكنه قرر مواجهة الماضي والتخلص منه بكل ما يحمله . نادى النادل طلب قهوة له ؛ فألغت هي الطلب ، وطلبت كوبان من الآيس كريم , لم يجادلها ، أحضر النادل كوباً به كرتي فانيليا مثلجة وواحدة شوكولاه ، وكوباً به كرتي شوكولاه وواحدة فانيليا , أبعد **آسر** الشوكولاه ليتناول الفانيليا فأخذتها هي و أعطته الفانيليا خاصتها , تناول الاثنان أكوابهم بتأني شديد ، لم تهدأ المثلجات من العواصف المشتعلة بداخلهم . أنهيا جلستهم بالمقهى ثم أخذها **آسر** إلى إحدى صالات عرض الأفلام ؛ أراد مشاهدة تفاصيل جديدة خالية من حياته أن يعيش مواقفاً مختلفة ، قررا مشاهدة فيلم رسوم متحركة ، ضحكا كثيراً طوال الفيلم ، وقبل نهايته كان مشاهداً درامياً مؤثراً ، فسالت دموع أمينة كنهر جارف ، انفجرت بكت بشدة بكت بتألم ، فصمت لم يعرف ما ينبغي فعله ؛ انتابه شعور بالحزن تملك منه لحزنها الشديد ، انتهى الفيلم وغادرا صالة العرض ، كان قد قرر ألا يتركها إلا بعد أن تخبره سبب بكائها بهذا الشكل ؟ وما سبب حزنها الشديد ؟

(**آثار**)

دخلت **آثار** شقتها ، كانت خالية ، وضعت ما تحمل على الطاولة ، ونظرت إلى غرفة **أمينة** لم تكن قد عادت من الخارج ، أصابها القلق فزوجها أوشك على العودة ، لا تعرف إلى أين تذهب **أمينة** كل يوم , خمنت أنها تزور المريضة ، وإذا

كانت تزورها لما لا تخبرها وترفض اصطحابها معها ، خافت أن تكون **أمينة** ترتب للرحيل كأخيها ، انهت استراحتها ، ثم دخلت غرفتها وأمسكت كرسياً ، ووضعته جوار الخزينة ووقفت عليه ، مدت يدها وأنزلت حقيبة ملابس قديمة ، جلست على السرير بعد أن أغلقت الباب بالمفتاح ، قامت بإحصاء المال الذي أتت به من البنك منذ قليل ، تملك خمسون ألف جنيهاً مصرياً ، ثم وضعت النقود داخل كيس بلاستيكي و وضعت الكيس داخل الحقيبة ، وأعادت الحقيبة فوق الخزينة , سمعت طرق الباب فتأكدت من أنها لم تغفل شيئاً ثم فتحت الباب ، كان **عمرو** هو الطارق ، كان وجهه غير مفسر يظهر عليه الضيق . فقالت:

- ازيك يا **عمرو** ؟
- أنا بخير , هي **أمينة** فين ؟
- طيب ادخل بس الأول.

تبعها للداخل ، جلس على أريكة غرفة الجلوس , فقال ولايزال غاضباً :

- ممكن حضرتك تنادي **لأمينة** ؟.

التفتت إليه بابتسامه خفيفة لتخفي قلقها.

- **أمينة** عند **مروة** صحبتها
- طاب **مروة** بيتها فين ؟

اتجهت **آثار** إلى المطبخ ، وحدثته من الداخل

- أنا مش عارفة العنوان بالضبط ، قهوتك ايه؟

جاءها صوته وهو في طريقه لمغادرة المنزل ؛ فخرجت من المطبخ كان يفتح باب الشقة ليرحل

- رايح فين؟
- همشي وهاجي لها بعدين تكون رجعت
- يا ابني تعالى بس ، هعملنا فنجانين قهوة حلوين ، ادخل اقعد بس.
- معلش وقت تاني .

ثم خرج وأغلق الباب ، ازداد قلقها لِمَ قاله **عمرو** لكنها ظنت أن أمينة عاملته بقسوة ليتركها.

(أمينة)

لم يكن المشهد يستدعي البكاء , لم تدرى ما جعلها تبكي لهذا الحد ، حين انتهى الفيلم , وقف **آسر** أمامها خارج صالة العرض , ابتسم في وجهها ؛ فبادلته الابتسامة, سألها:

- ايه اللي مضيقك كده ؟
- مفيش , أنا زي الفل.
- لا , مش فل لا , قولي ؟
- عايزني أقول ؟
- اه ، ومستني أسمعك.

قالت بتردد :

- مش أنا اللي اختارت.

رمقها بدهشة

- اختارتي ايه!

مدت ذراعها داخل حقيبة يدها ، وأخرجت خاتم خطبتها ، تبدلت ملامح **آسر** حين وقعت عيناه على الخاتم ؛ فقالت:

- بابا خطبني بالعافية لواحد اسمه **عمرو** ، وأنا مش طيقاه ، هيجوزهولي بالعافية .

ألجمت المفاجأة لسانه فلم ينطق ، وضعت **أمينة** خاتمها داخل إصبعها ، انتظرت أن يأخذه **آسر** من يدها ويطيح به بعيداً لكنه لم يفعل . أوقفت سيارة أجرة ورحلت .

كانت النهاية سريعة ، لم تبدأ قصتهما بعد ، ولكنها انتهت بالنسبة **لأمينة** ، تأكدت من أنها لا تعني **لآسر** أكثر من زائرة مجهولة ، راقبته بعينيها من مرآة السيارة ، كان ثابتاً لم يتحرك ينظر تجاهها بذهول ، تابعته بعينيها إلى أن أصبح بعيداً جداً ثم تلاشى عن نظرها.

حين رأى الخاتم شعر بأن سكيناً حاداً شق صدره ، ذكرته **بمريم** , أمنحه الله النجاة من الموت لتعاد مآسي الماضي ،حين ابتعدت السيارة وتلاشت **أمينة** عن نظره تأكد من أنه خسرها ، اختلفت **أمينة** عن **مريم** ، ولكنها صنعت نفس النهاية ، شعر بنار أضرمت بأوصاله ، ولكنه شاهدها تبتعد ، مختارةً وداعاً سريعاً .

. . . . . .

أمام عمارة **أمينة** كان **عمرو** بانتظارها داخل سيارته، ما إن رآها نزل من السيارة ، وجذبها من يدها ، لم يمنحها فرصة لتعترض، اركبها السيارة ، وقاد السيارة بأقصى سرعة ، لم ينطق ، لكن بدا عليه الغضب الشديد ، فالتزمت الصمت ، تخشى أن يصدر منه أذى . أمام عمارة أخرى أوقف سيارته ، وجذبها خارج السيارة حاولت منعه ، ولكنه جذبها بقسوة شديدة ، ونظر لها بحدة قائلاً:

- الكلام اللي قولتيهولي أمبارح حقيقي ، ولا كدب ؟

تعلم أنه أراد سماع حقيقة أنها تختلف عن الفتيات اللواتي عرفهن قبلها ، ولكنها اختارت ألا تريحه ؛ فقالت

- اه , كل كلمة قولتها صح.

مد يده بعصبية شديدة كأنما سيصفعها ثم سحبها بقوة وقال وهو يصعد بها على المصعد دون أن ينظر لها.

- كدب أو حقيقة هكمل بس يستحسن يكون كلامك غلط.

سيطر عليها الذعر، تحولت لطفلة هشة ، لم تحاول سحب ذراعها من بين أصابعه ,صعد بها للطابق الثالث .

وجدت لافتة معلقة على باب المدخل ، كانت لطبيبة لم تكن بكامل عقلها لتنتبه لتخصص الطبيبة , كان بداخل العيادة مجموعة من النساء ، وعدد قليل من الرجال، وبعض النساء ببطون منتفخة , مرت لحظات ، وسحبها مرة أخرى من يدها إلى داخل غرفة الفحص ، تبادل **عمرو** السلام مع الطبيبة **,** ثم نظرت الطبيبة **لأمينة**

- حضرتك ؟

فقال **عمرو:**

- **أمينة**.

ابتسمت الطبيبة بوجه **أمينة** ، وطلبت منها التوجه لسرير الفحص , ردت **أمينة** بدهشة

- أنا مش تعبانة , مفيش حاجة وجعاني.

قالت الطبيبة :

- ما هو مش علشان أنتِ تعبانة، علشان يطمنوا عليكي.
- أنا مش فاهمة مين اللي يطمنوا ، يطمنوا على ايه؟ **!**.

نظرت الطبيبة بريبة.

- دكتور **عمرو** ابن خالتك وخايفين عليكي
- أنتِ عبيطة

سيطر الغضب على عقل **أمينة** ، مدت يدها لتضرب الطبيبة ؛ فوقعت عيناها على لافتة صغيرة بالغرفة كتب عليها طبيبة أمراض نسائية ، فتركت **أمينة** الطبيبة ، وسألتها:

- أنا هنا ليه ؟
- هو عايز يتأكد أنتِ آنسة ولا لاء.

اقتربت **أمينة** من **عمرو** وصفعته , وقالت:

- أنا أشرف منك ، ومن اللي خلفوك.

ثم خلعت خاتمها وأطاحت به على بلاط الغرفة وأسرعت للخارج , حاولت أن تسيطر على انفعالها ، لكنها كانت شديدة الغضب ، شعرت بالإهانة , عادت لمنزلها مسرعة ، فتحت لها **آثار** قائلة:

- كل ده تأخير **يا أمينة**.

لم تنطق أسرعت إلى غرفتها وأغلقت الباب ، وبدأت في البكاء ,أرادت الانفجار بوجه أبيها ، لعله يشعر بما عانته بسببه ؛ أهي رخيصة لحد أن يسحبها من يدها ويأخذها لطبيبة ، ما تلك الجراءة ! هدأها قليلاً أنها رمت له بخاتمه وصفعته , لكنه يستحق أكثر من ذلك .

(صاحب العمارة)

طرق **صاحب العمارة** باب شقة **جار صابرين** بقوة ، لما يقرب من نصف ساعة ، ولكن أحد لم يجب ؛ فعاد لأسفل العمارة منتظر عودتها من دوامها بالمشفى ليحصل على مفاتيح الشقة ، لن يمهلها أكثر ، لو أن الشقة بحوزة مستأجر غير **صابرين** لكسر الباب وأجبرها على مغادرة الشقة ، لكن **صابرين** تمتلك لسان لاذع ، وإذا وجدت الشقة مفتوحة لن تفعل ما يسر , جلس على كرسي بجوار البقال ، لم يكن هادئ البال ، جعلت عقله يضطرب فحدث نفسه قائلاً:

- يعني إيجار متأخر ، ولا دفعت ولا فضت الشقة .

انتظرها بتذمر.

آثار

تحولت ابنتها من البريق إلى الخسوف التام ، خسرت ابنتها لم تعد **أمينة** تهتم **بآثار** ، انتهزت **آثار** نوم زوجها وذهبت إلى عنوان الشقة التي ستعاينها ، لتحدد أتستأجرها أم لا ، ذهبت للعنوان وقابلها صاحب العمارة قائلاً:

- معلش يا مدام . هنأجل الفرجة النهارده ، المستأجر القديم بيماطل ،ومفضاش الشقة كلها ، هديله حاجته النهارده ، وبكره تشوفيها.
- ما أشوفها ، وأبقا اديله حاجته براحتك.

قال بأسلوب خبيث مؤثر:

- لا, دي حاجة ناس صحابها يخدوها وتتفرجي براحتك , الحق حق.

عادت آثار لمنزلها ، باغضةً العودة لهذا المنزل ، لكن لابد لها من الانتظار لترتيب حياتها الجديدة.

آسر

بدأ الألم يزداد ، يعلم أن رأسه تؤلمه بسبب التفكير المستمر ، لكن لم ازداد ألم جسده ، حين تركته **أمينة** أمام صالة العرض لم يتحمل زاره ألم قاسٍ ، يشعر بأن أحلامه الجديدة هدمت قبل أن يسعى لتحقيقها ، لديه من الأعباء ما يجعله يهرب من كل ما يزيد أعباءه ، لكنه يحتاج للمساندة ، لم يستطع يوماً العيش بمفرده ، ولن يقوى على الوحدة بعد ما أصابه ، كانت **أمينة** قشة النجاة بالنسبة له ، لكن لأنها قشة أغرقته ، أمسك هاتفه أكثر من مرة ليحدثها لكنه لا يفعل ، تملكته حالة أشبه بالاكتئاب.

آثار

لم تحاول التطفل على **أمينة** ، تركتها تهدأ ، أرادت إخبارها عن مسكنهم الجديد الذي تسعى لإيجاده والحاضر المختلف ، أرادت إخبارها أن الحياة لم تدفنهم بل ستمنحهم فرصة جديدة للتنفس ، لكن زوجها أوقفها قبل ذهابه للعمل قائلاً:

- **علي** هيجي كمان أسبوع علشان الفرح.
- ابني راجع.

قالتها بفرحة عارمة ، لم يحملها جسدها من شدة سرورها ، وليدها الغائب سيعود لتنعم بمعانقته طويلاً . فأردف زوجها :

- هيجي قبل الفرح ويمشي بعده على طول.
- يعني جاي للفرح مش جاي يشوف أمه ؟

قال وهو يلمع حذاءه:

- لاء يا أختي ، هو فاضي ليكي .

قالها ثم ذهب لعمله ، اجتاحها الشوق فتمتم قلبها معاتباً الغائب :

- اخص عليك **يا علي** جاي علشان الفرح بس ، يبقا مش هتيجي تاني غير في دفنتي يا ابني , والجوازة اللي مش هتتم , أجوز **أمينة** علشان أشوف **علي** ، ولا أبدأ أنا **وأمينة** بعيد ، فمشفهوش تاني .

لابد أن يرجح العقل المحاولة لإنهاء تلك الزيجة ،لكنها أم لديها قلب وليس عقل ، لديها شوق ، ولوعة ، ومرارة فراق ، وحنين جارف لابنها..

صاحب العمارة

بحث **صاحب العمارة** عن **صابرين** طويلاً ، ذهب للمشفى فأخبره زملائها أنها لم تداوم منذ ما يقرب من أسبوع ، طرق على شقتها وشقة جارها كثيراً أشطاط غيظاً , رواده الشك بأنها اختفت لتجبره على الانتظار حتى تستطيع جمع الإيجار المتأخر . قرر كسر الباب ولتفعل **صابرين** ما أرادت . يمتلك عمارة ولكن العائد لا يكفيه ،

يضطر كل شهر إلى العيش باقتصاد حتى تكفيه الأموال ،زاد الأمر سوءاً انتقال ابنته الكبرى وأطفالها للعيش معه بعد ما انفصلت عن زوجها ، ازداد الحمل على كاهله ، فرق الإيجار الذي سيناله حين يؤجر الشقة بالأسعار المرتفعة للتأجير ستحسن سبل عيشة هو وأسرته .

حاول كسر الباب عن طريق رمى جسده بقوة على الباب ،فقالت امرأة تسكن بالطابق العلوى ، قالت وهى صاعدة:

- استنا لما **صابرين** تيجي ، البيوت ليها حرمتها.

قال ساخراً منها :

- من حكم في ماله فما ظلم.

قالها ثم أكمل دفع الباب ، لكن كبر سنه قد خذله.

(أمينة)

انتبهت لمحاولات **آثار** الحديث معها ، لكن لم تتح لها الوقت لتخبرها ، يبدو أن **عمرو** لم يخبرهم شيئاً مما حدث، فليذهب إلى الجحيم . خرجت من غرفتها كانت **آثار** جالسة يبدو عليها الهم ، لم تبالِ بوضع **آثار** يكفيها ما أصابها لمجرد أنها ابنة لتلك الأسرة . اتجهت إلى المشفى ووقفت أمام غرفة **آسر** ، لم تجرؤ على طرق الباب ولم تستطع العودة لمنزلها , أرادت محادثته ، تشعر معه أنها لا تحتاج للتكلف لا تضع محاذير في التعامل معه. مرت دقائق ، وهى حائرة ، فإذا **بآسر** يأتي ، كان ينهي بعض الفحوصات من أجل الجراحة ، بدا عليه الإرهاق والألم ، يبدو عليه أعراض قلة النوم ، شعرت بالثقل حين رأته , أما هو خفق قلبه بشدة , اقترب منها ثم أشاح نظرة بعيداً أسند ظهره على الحائط ، فاستندت هي الأخرى على الحائط على مسافة تقرب متراً من **آسر** ، لم ينطق أياً منهما ، وبعد دقائق من الصمت ، نطق بثقل:

- يوم جديد في المشفى.

التفتت إليه لم يكن ينظر تجاهها ، فقالت :

- يوم جديد شايل تفاصيل جديدة.

اعتلا فمه ابتسامة ساخرة فقالت :

- وجع رجلك زاد ؟

أحس بنبرتها القلق على وضعه ، أراد معانقتها لتلتئم جروحه الغائرة , فنطق كمن يلعن وضعه:

- قربت أعمل العملية ، ويروح الوجع.

قالها ثم اتجه بخطوات بطيئة نحو اقرب مقعد فتبعته وقالت:

- مش كل الوجع بيروح.

فقال هو :

- **عم أمين** كلمني ، شاف لي شقة كويسة وهتوفر لي نص فلوسي .

فقالت:

- أتفرجت عليها ؟
- مش هتفرق كلها حيطان.

جلست جواره لاحظ أنها لاتضع الخاتم فأشاح نظره ،وكأنه لم يلحظ .
قال :

- عايز اعمل العملية قبل فرحك علشان أحضره ولا مش هتعزميني ؟

قالت بصوت منهك :

- لا مش هعزمك علشان مفيش فرح أصلاً ، أنا فسخت الخطوبة .

فرح لكنه استطاع إخفاء فرحته ، والتفت ناحيتها رمقها بعينيه ولم ينطق .
فأضافت :

- الحيوان خدني لدكتور علشان..

تلعثمت ثم قالت بغضب ، وحياء:

- كان عايز يعرف إني . .محترمة ولا لاء

هز رأسه بغضب ، وقال:

- محترمة ازاي مش فاهم .

نظرت للأرض بحياء ، و قالت :

- كان عايز.. يكشف عليا .

استشاط غضباً ، وأمسك ذراعها ؛ فجذب انتباه بعض المرضى والأشخاص المارين بالمشفى.

- وازاي تقبلي ؟

رفعت عينيها نظرت باكية ، كطفلة تعاقب على ذنب لم ترتكبه .

- مكنتش أعرف.

قالتها ثم بكت بشدة ؛ فتركها ونظر بعيداً ، لكن غضبه لم يهدأ , بكت لدقائق مستمرة ثم امسك بيدها وأخذها باتجاه الخروج من المشفى ، كانت تمسح أثار البكاء من وجهها بيديها ، حين احتضنت أصابعه أصابعها ، شعر كأن عهداً قد قرأ في السماء مطلع عليه من عقله و قلبه ؛ لن يتخلى عنها ، وبأنانية رجل عاهدها سراً ألا يترك غيره يلمسها ، لن تحتضن أصابعها سوى أصابعه . قالت:

- احنا رايحين فين ؟

التفتت إليها كعاشق جديد أعلن عشقه منذ دقائق.

- هتتفرجي على الشقة ، وتختاريها.

انتابتها رعشة خفيفة من معنى كلماته , خفق قلبها , أحَبته بشدة ، نبض قلبها للتو باسمه.

(آثار)

منذ أكثر من ساعة **وعمرو** بالداخل مع زوجها ، لم تفهم ما هذا الأمر الهام إلى هذا الحد ، سمعت زوجها غاضب منذ قليل لكن يبدو الآن أنه سيطر على انفعاله ، انتابها القلق مما يحدث بالداخل وأن أمينة لم تعد إلى الآن , أعدت لهما كوبان من الشاي ودخلت الغرفة فصمت ، لكن بدا على **عمرو** الخجل ، جلست لترحب بعمرو فأشار لها زوجها بعينيه أن تتركهما بمفردهما ؛ ففعلت . خرجت ، وقد ازداد فضولها دق جرس باب المنزل فأسرعت فتحت الباب وجدت **أمينة** مبتسمة ومتوازنة فقالت:

- ازيك يا ماما يا حلوة أنتِ .

دخلت غرفتها ، ثم عادت **لآثار** داعبتها قائلة:

- ألا هما سموكي **آثار** ليه ؟

فقالت **آثار** بصوت خفيض

- **عمرو** جوا مع أبوكِ ، بقالهم يجي ساعة ونص.

تبدل وجه **أمينة** ودخلت غرفتها وأغلقت الباب بعنف ، بعد دقائق نادى زوجها على **أمينة** ، فطرقت **آثار** غرفة **أمينة** ، وقالت:

- أبوكِ بيقولك تعالي ؟

ذهبت **أمينة** لغرفة الجلوس ، ظنت أن والدها ناداها ليسخر منه أمامها ويطرده شر طرده , لم يبد على وجه **عمرو** القلق أو الضيق ، رمقته باستهزاء قائلة:

- نعم يا بابا.

قال **عمرو** :

- أنا آسف.

التفتت إلى أبيها مندهشة.

- هو قالك كل حاجة يا بابا ، قالك عمل ايه ؟
- قال وأنا جبت لك حقك.

قال **عمرو** :

- أنا همشي وهاجي لما أمينة تهدا

غادرهم **عمرو** ، **وأمينة** لازالت لا تدرك ما يحدث حولها . نظرت لأبيها مصدومة.

- - هو ده معناه ايه؟

- معناه إنه حس بغلطته وأنا جبت لك حقك منه ، والموضوع خلص.

قالت بانفعال

- أنت عارف الموقف كان ازاي ، بصت الدكتورة ليا , نظرات اللي في العيادة, ولا سفالته.

قالت كلماتها ثم دخلت غرفتها ، لحقتها **آثار** سألتها عما حدث فأخبرتها **أمينة** ما حدث . ذهبت لزوجها وقالت بغيظ :

- أنت ازاي تكمل الجوازة دي , ازاي؟
- قال بنتك اللي قالت له إنها مش محترمة والواد دمه حامي ومجنون.

- وأنت دمك بارد لما ده يحصل وتسيبه يتجوزها.

مد يده ليضربها لكنه لم يفعل فقالت بتحدي :

- اضرب، بس سيبه يتجوزها عريس الغفلة..

أخرج انفعاله في زفير ثم قال:

- لو عليا أقطم رقبته ، بس لما الناس تعرف إن بنتك المصون خطيبها وداها لدكتورة أمراض نسا ، مين هيرضا يتجوزها ؟ هتقابلي الناس ازاي ؟ وبعدين دي حتة عيلة بكره تعيش زي اللي عايشين
- بنتك ولا الناس

رمقته باشمئزاز أشاحت نظرها عنه فغادر المنزل , انتهى النقاش على هذا الوضع ، **أمينة** تبكى قهراً و**آثار** لا تجد سبيلاً للخلاص ، وزوجها يهرب من المشاكل إلى الخارج كما اعتاد.

(صاحب العمارة)

رن هاتف **صابرين** فأجاب , كانت المتصلة **أمينة** حاولت أن تجد حل لما تعانيه لدى **صابرين** ، فأجاب هو قائلاً :

- سلام عليكم .

فقالت:

- عليكم السلام . لو سمحت ده تليفون **الممرضة صابرين** ؟
- اه.
- ممكن حضرتك تقولها إن **أمينة** عاوزاها ضروري.
- صابرين ماتت من أسبوع.

لم يتلق جواباً أو تعليق انقطع الاتصال ، فجلس على أحد الكراسي ينظر للعاملين وهم يحملون قطع أثاث جديدة ويضعوها بشقة **جار صابرين** . حين لم يستطع كسر الباب جلب رجلان استطاعا كسره ، فدخل الشقة كانت **صابرين** جالسة على أحد

الكراسي بصالة الشقة وبجوارها المسجل وبعض الأوراق . كانت **صابرين** تحول لونها لبياض شديد الشحوب ، تأثر قليلاً بحالها ، وموتها وحيدة بهذا الشكل ، ثم قال :

- الله يرحمك **يا صابرين** داويتي العيانين و نسيتي نفسك .

كانت هذه الكلمات آخر مظاهر حزنه على **صابرين** ، ثم نادته التزاماته ، فقام بتأجير شقة **صابرين لآثار** والدة **أمينة** ، وأما شقة **جار صابرين** فقد اختار ما راق له من أثاثها ، وتخلى عن البقية مقابل مبلغ زهيد من المال ، رحلت كلمات جار **صابرين** ، وحبه إلى الهواء ، قد تكون بيعت لرجل يعمل ببيع الفلافل الساخنة ، ربما يكون الآن يقرأ الكلمات على الورق قبل أن يحولها لقرطاس ، ويسب هذا المغفل الذي أعطى قيمة لامرأة. والشقة تم تأجيرها لمكتب محاماه لتعيش الجدران مع آخرين غير عابئين بأثار قلوب عبث بها الزمان فماتت حزناً

(آسر)

مر أسبوعان منذ آخر مرة زارتني بها **أمينة** , اتصلت بها كثيراً ولا تجيب بأي ذنب يعاقبني الله بهذا الشكل ، عدت للحياة فوجدتها ، جاهدت لأخلق عقلاً خالياً من الماضي، فرحلت وتركتني في جحيم الحاضر بمستقبل مجهول.

يتبقى على عمليتي ساعات قليلة ، ولم تأتِ لأراها.

- هما سحبوا الروح منك علشان العملية ، ولا أنت بقيت كده ؟

قالها **عم أمين** حين وجده شارد ؛ فالتفتت بابتسامة.

- شكلي هبقى كده على طول.

اعتدل **عم امين** ، ونظر تجاه **آسر** جيدا.

- عارف الناس اللي بنقابلهم في المواصلات.

نظر **آسر لعم أمين** باهتمام . فأضاف **عم أمين**

- الناس دول بيركبوا ، أوقات بنحكي مع بعض ، وأوقات بنضحك ، وممكن نفضل ساكتين ،لو كانوا لذاذ بيحلوا لك يومك ، ولو وحشين بيقفلوا يومك ، وفي الآخر مش كلهم بنفتكرهم ، بس فيه ناس فيهم بنفضل فاكرينهم ، ناس بتسيب علامة وتمشي ، مش المفروض نفكر هما مكملوش على طول ليه ...

حاول **آسر** الوقوف على قدميه فآلمته بشدة ، فجلس وقال بمرارة.

- وايه لزمتهم مادام كل واحد هيروح طريق.
- إن ربنا بيعوض ، لو حتى باللي بنقابلهم صدفة ونفترق في الآخر.

فهم مقصد **عم أمين** ، الجيد في هذا الرجل أنه حين يريد إبداء رأيه في أمر ما لا يتحول لمصلح اجتماعي ، ويبدأ بإبداء النصائح والتحذيرات ، ولكنه يبدي رأيه دون التحدث عن المشكلة . لكنه يحتاج إلى سماع صوت **أمينة** .

(أمينة)

تمر أجسادنا بفترات انهاك ، يعجز الجسد ويستسلم للمرض والضعف , أما الحب فينتهك كل ما تبقى من قلبنا وروحنا.

من يغوص في مرحلة سحب أعراض الإدمان يعجز جسده ويتهالك ، أما من يعيش أعراض انسحاب حب يهتز كيانه لهذا الحب.

مر أسبوعان **وأمينة** كما هي , للحظات حسدت **صابرين** على موتها ، تمنت أن تموت عاشت ما يشبه الاكتئاب تنام في غرفتها ، لم تحدث أي شخص حتى **آثار** ، حين يرن هاتفها برقم **آسر** تشعر بأن آلة حادة تغرس بداخلها فتسحب منها الحياة . بقي على زفافها ثلاث ليال ، والعملية الجراحية التي سيخضع لها **آسر** اليوم ، وضع أمامها فستان زفافها ، جربت ارتداءه ولم تستطع كرهت رؤية هذا الفستان ، وكرهت ارتداءه

لم تشعر سوى بقدميها وقلبها يسوقانها إلى المشفى ، وقفت أمام **آسر** كان يستعد لعمليته ، ما إن رآها أدار ظهره لها ، وقال:

- جاية ليه ؟

- علشان كان لازم آجي .

حاول أن يبدو منشغلاً بمجموعة أدوية أمامه ، ثم سألها بعتاب :

- ومشيتي ليه ؟

وقفت أمامه , نظرت له ، كان **آسر** يجلس على السرير ، فجلست هي على الأرض أمامه ، نظرت له لم تر في جلستها بهذا الشكل أي إهانة ؛ أرادت تتويجه كملك على قلبها وترحل ، تماسكت في البداية ، ثم انفجرت باكية , تقطعت كلماتها في بعض الأحيان . قالت:

- هيجوزهولي بعد ثلاث أيام ، معرفتش اقولك .. مقدرتش أرد على اتصالاتك ... أنا مش هعرف اتجوزه .

نظر لها بحزن ، ثم مشى في الغرفة ، لم يكترث لألم قدمه المتزايد ، اكترث لألم قلبه , بكائها المتزايد أضعف قوته ، اقترب منها بنظرة ضعف خبأها طوال عمره خلف قوة الرجال.

- متتجوزهوش يا **أمينة**.

تقطعت أنفاسها من شدة الحزن ثم تمالكت صوتها قائلة:

- مش قادرة أمنعهم.

أشتد الألم ***بآسر*** ؛ فجلس بجوارها بعد أن صاح دون قصد بتأوهات من شدة ألمه . نظرت له بقلق , وقالت:

- أنا آسفة.

ابتسم لها بحنان

- على ايه؟
- على وجعك.

ضحك بشدة إلى أن ظهرت بعض الدموع في عينيه من شدة الضحك ، ثم أسند رأسه إلى الحائط , وقال :

- خدت على وجعي , بس مكنتش عايز أتوجع فيكي أنتِ كمان.

التفتت إليها ثم تحامل على قدمه ووقف متجها للنافذة .

- أنا عاجز زي ما أنتِ شايفة ، بحب صوتك , بتقهر على عياطك ، بتفرح لما بتفرحي , أنا ظلمت اللي بحبهم ، فاتردت لي فيكي

ثم نظر لها

- تتجوزيني ؟ هنبعد أنا وأنتِ عن كل حاجة تتجوزيني **يا أمينة**.

مرت دقائق ، ولم يتلقَ جواباً منها ، قطع ما بينهم طرق إحدى الممرضات على الباب .. ثم فتحت الباب وقالت:

- يلا علشان تجهز للعملية.

خرج **آسر** من الغرفة تاركاً جرحه غائر أمام **أمينة** التي نطقت روحها متمنية منه أن ينتظر لتخبره أنها ستفعل أي شيء بعد سماع كلمة **أحبك**

. . . . . .

بعد ساعات خرج من غرفة العمليات فاقداً الوعي ، نظرت له جيداً واطمأنت أنه بحالة جيدة ، حين جاء **عم أمين** اطمأنت على **آسر** برفقته ورحلت من المشفى.

حين وصلت المنزل شعرت بأن قلبها توقف عن النبض ما إن دخلت من الباب ففقدت الوعي ، تملك منها داء الحمى , لازمت فراشها بحرارة لا تنخفض وقلب عاصف ، تتمتم أحياناً بكلمات غير مفهومة ، لا تدري ما يحدث حولها.

، فما بدر من أبيها إلا أن أجل موعد الزفاف لكنه لم يلغه

(آسر)

لازم **آسر** الفراش لأسبوعين ، فاطمئن الأطباء على صحته , طلب من **عم أمين** أن يبيع شقته التي اشتراها له ويرسل له ثمنها ؛ قرر **آسر** السفر إلى الإسكندرية ليعيش في ظل من بقي من عائلة أبيه ، يكفيه ما عاناه .

مر الأسبوعان وأذاب قلبه ملح رحيلها ، لم يستطع كرهها ولو للحظة , وضع قلبه لها آلاف الأعذار ليجعل منها قديسة ، رحلت مجبرة , تخلت عن حبها من أجل عائلتها.

(آثار)

حزنت بشدة لمرض **أمينة ,** كيف اهملتها إلى أن وصلت لهذه الحالة ، أفعلت كل هذا من أجل **علي** الذي حين ضاقت به الحياة في مَصر هرب تاركاً وراء

ظهره **أم** تتعذب على فراقه؟ . حين بدأت حرارة **أمينة** في الانخفاض ، تركتها وذهبت لمسكنها الجديد الذي لم تنتقل إليه بعد ولم تخبر زوجها برغبتها في الانفصال عنه بعد , كانت الشقة مكونة من غرفتين وصالة ودورة مياه ومطبخ ، دفعت إيجار شهرين مقدماً ، وطلبت من **صاحب العمارة** أن يبحث لها عن محل صغير لتبدأ عملها الخاص ؛ لتستقر وتغطي تكاليف المعيشة ، تركت **أمينة** وذهبت سريعاً لتعاين المحل الذي وفره لها **صاحب العمارة** ، أعجبها المحل ، فمضت عقد تأجيره وعادت مسرعة **لأمينة** , شغلها التفكير بنوع التجارة التي تنوي ممارستها , ازداد ضيقها من **علي** الذي لم يأتِ ، ألغى سفره حين علم بتأجيل حفل الزفاف لأجل غير مسمى ، أليست صحة أخته أهم بكثير ليأتي ويطمئن على وضعها ؟

. . . . . .

استعادت **أمينة صحتها** ، ولكنها لم تستعد رونقها ، دائماً شاردة وتبكي ، حاولت كثيراً الخروج من المنزل في البداية منعتها **آثار** ، ولكنها لم تنفك عن المحاولة ، فتركتها **آثار تحاول** ، لم يساعدها جسدها المتعب ، فكانت تساندها **آثار** إلى سريرها

(آسر)

- أنت هتسافر امته ؟
- كمان يومين يا **عم أمين**
- بس أنت محتاج راحة أكتر من أسبوعين.
- انا عايز أرتاح بعيد عن هنا , عايز أبعد.
- مش هتاخد حد معاك ؟
- هاخد شوية الهدوم
- و **أمينة ؟**

كأنه أذاب الجليد عن جرحه ، فقال:

- يمكن أقابلها هناك صدفة ، بعد سنين.
- اللي يريحك يا ابني .

ابتسم **آسر** في وجه **عم أمين** ، ثم مد يده وسحب سيجارة من سجائر **عم أمين** ،

أشعلها وظفر منها بنفس ؛ فأصابه هيجان في صدره , شعر بشعور مقزز كأن صدره تحول إلى منبع للأدخنة ، شعر بأن داخله وطعم فمه تحول إلى هذا المذاق الغريب ؛ فلم يعد الكره ، وأطفأ السيجارة قائلاً:

- بتشربوها ازاي دي , دي وحشة أوي .
- وهمين نفسنا إنها بتفرج الهم ، وهى بتزيد العلة.

فقال **آسر** مبتسماً:

- والله ما هيوحشني غيرك
- هجيلك ، وهستناك تجيلي.
- هاجي طبعاً(**ثم قال مازحاً)** .كنت عايز آخد علبة سجاير معايا ، بس حتى السجاير رفضاني.
- أنت قلت **لأمينة** إنك مسافر.
- اه بس هسافر لوحدي برضه

تنهد **آسر** طويلاً ، ثم نظر للفراغ أمامه مرة أخرى , ثم دخل دورة المياه ؛ فأمسك **عم أمين** هاتف **آسر** ، وكتب رقم هاتف **أمينة** ، ثم وضع الهاتف كما كان

. . . . . .

. .انتهى اليوم سريعاً ، مر اليوم التالي , وضع **آسر** ثيابه بالحقيبة ، ظهر أمامه طيفها حاول المقاومة ولكن بدأ عقله وقلبه في سرد جراحه القديمة وحين انتهى من ماضيه بدأ في سرد كل ما دار بينهم منذ لقائها إلى رحيلها , أصبحت روحه خالية من كل شيء إلا منها ، كان حبه **لمَريم** ثم **آية** فتحاً لجراح القلب وعذاب الضمير لكن رحيل **أمينة** جعله يشعر بأن حياته الجديدة غاب عنها ما كان سيصنع جمالها . بقي على سفره بضع ساعات ، وأنفه لازالت تستنشق عطرها ، وأثرها محفور على جلده المغطى بالثياب.

(الاختيار)

دائماً ما نستطيع أن نختار

(آثار)

حين فارق **المرض أمينة** ، اهتمت **آثار** بإطعامها كافة الأطعمة المتوفرة بالمنزل عنوة ، لكن أمومتها احترقت حين بكت **أمينة** بشدة أثناء طعامها ، نظرت **آثار** **لأمينة** قائلة:

- اسمه ايه يا **أمينة ؟**

فهمت **أمينة** كلمات **آثار** فلم تجب ابتسمت رغماً عنها ، مجرد التلميح عنه يسعدها .لم تصر **آثار** على معرفة حَبيب **أمينة** المجهول. قالت فحسب:

- مصيري أعرف.

سمعت **آثار** طرق الباب ، فتحت كان **عمرو** هو الطارق ، سمحت له بالدخول ، وجلست بجواره رمقته بضيق . فأردف:

- هي **أمينة** كويسة ؟
- أنا فاكرة كويس اللي عملته فيها .

حاول أن ينطق ؛ فأشارت له أن يصمت , ثم أضافت :

- وعارفة إن عياها بسبب إنها مش عوزاك.. عايزها حَبتها محَبتهاش هي مش طايقة تبص في وشك حتى.

ثم دخلت غرفه **أمينة** ، خلعت خاتم الخطبة من اصبعها **وعادت لعمرو** , وضعت له الخاتم في كفه . قال:

- طاب أكلمها.
- مش عاوزة تكلمك , الموضوع خلص.

اتجه إلى الباب وهو ينظر للخاتم ، التفت ليحدث **آثار** ، فأمسكت باب الشقة بيدها ؛ فغادر الشقة ، وعلى وجه أمارات الغضب.

. . . . . .

عاد **زوج آثار** إلى المنزل بعد وقت من رحيل **عمرو** . حين رأته علمت أنه عرف ما حدث ؛ فوقفت أمامه بثبات شديد . فأردف:

- أنتِ شكلك أتجننتي خلاص البيت مفيهوش راجل.
- تفتكر فيه راجل يقبل يجوز بنته لواحد زي **عمرو**.
- هتتجوزه يا آثار ولو وقفتي في وشي تاني هطلقك.

حاولت استفزازه لينطق بحريتها.

- بعد سبعة وعشرين سنة ،خدت بالي قريب إنك مش راجل.
- أنتِ اتجننتي بجد

قالت بلامبالاة :

- مجنونة بس أنت مش راجل صوت بس , عيل بيعمل لنفسه قيمة بالخناق والضرب

استشاط غضباً ؛ فنطقها :

- أنتِ طالق.

نطق الطلاق واتجه خارج المنزل ؛ فرحت بشدة , شعرت بحريتها ، لكن وقع الكلمة مؤلم ، تشعر بخيبة أمل ، الطلاق يشعرك بأنك فشلت في خلق حياة سعيدة لكن الفشل أفضل من التجرد من إنسانيتك وقلبك أن يصبح عقلاً لا يخلو من الندم على هذا القرار الذي وجب تغييره , أرادت الإسراع للشارع وأداء رقصة الحرية ، دون اهتمام بنظرات المارة ، ستجعل روحها المعتقة الآن جسدها يرقص بحرية شديدة ، ستفوق جميع الراقصات ؛ لأنها رقصة الحرية.

(أمينة)

رن هاتفها معلناً استلام رسالة جديدة ، كانت الساعة تقترب من الثامنة صباحاً , لازالت بعض آثار الحمى بجسدها ، تشعر بالخمول والإرهاق لازال وجهها شاحباً قليلاً استجمعت قواها قليلاً وذهبت لدورة المياه ، ثم عادت إلى السرير . فرحت لحصول **آثار** على الطلاق لم يعد أبيها منذ أمس ، لكن مصيرها هي لم يحدد بعد لكنها لا تريد سوى رؤية **آسر** . فتحت الرسالة :

((آسر هيسافر إسكندرية الساعة تسعة ، مش هيرجع تاني))

نظرت إلى الساعة كانت الثامنة والربع ، كانت تلك الرسالة كفيلة لتهرول إلى المحطة ، ولكن كيف ترحل في هذا الوقت ، كيف ترحل وتترك **آثار** . ذهابها للمحطة يعني الرحيل.

(آسر)

وقف حامل حقيبته في المحطة بانتظار القطار ، للحظات سولت له نفسه بألا يركب القطار بل يقف أمامه ؛ ليرحل دون عودة , لكنه لن يجرؤ على فعل ذلك , لن يقوى على مواجهة الموت مرة أخرى ، ماذا سيخبر الله حين يقابله ؟ أيضعف ،ويحاول الانتحار ؟ محاولاً الموت بهذا الجبن.

اشتم رائحة عشقه في الهواء ، تمنى لو أن **أمينة** معه ، أراد توديعها ببضع كلمات ليسمع صوت أنفاسها ، أو تنهيدة مقترنة بأنغام صوتها الدافئ أو حتى صوت بكائها , ولكنه لن يجرؤ على توديع امرأة لرجل آخر.

. . . . . .

دقت الساعة التاسعة ؛ فحمل حقيبته متأهباً لاقتراب القطار ، ظهر من بعيد ثم توقف بالمحطة ، وبدأ الركاب في الصعود على متن القطار.

دقائق قليلة وبدأت صفارة القطار معلنةً تحرك القطار للإسكندرية محملاً بركاب تركوا قلوبهم بقاهرة المعز .

أسرعت **أمينة** إلى المحطة هرولت لتلحق القطار ، لكن محاولتها دون جدوى , دائماً ما كان القطار أسرع من أقدام العاشقين.

. . . . . .

جلست **أمينة** على أحد مقاعد المحطة ، تنظر للقطار الذي بدأ في الاختفاء عن عينيها ، ثم وقعت عيناها على شاب يحمل حقيبة , اقترب هذا الشاب بخطوات بطيئة وجلس بجوارها ، رفعت عيناها لتنظر لهذا الشاب فكان **آسر** . رمقها بابتسامة ،ثم قال:

- حسيت إني هندم لو ركبت القطر ، فروحت اشتريت جورنال

ضحكت بشدة ، وكلما زادت ضحكتها ازدادت جاذبيتها ، كانت رقيقة , حين انتهت من ضحكها ، كانتا وجنتيها حمراوان . قالت:

- أتأخرت كنت بسيب لأمي جواب... السكك شبه البني آدمين

فقال هو بغزل:

- مش مهم السكة المهم إنك موجودة.

♡ .♡ . ♡. ♡